الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي عبد الحفيظ بالصوف –ميلة-

معهد الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

إستراتيجية تمثيـــل الآخر في "روايــة عذبة "لصبحي فحمـــــــــاوي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي

تخصص: دراسات أدبية

من إعداد الطالبة:
قـــــــرواز عبيـــــر

تحت إشراف :
مـــــناصري وفـــاء

السنة الجامعية : 2018/2017

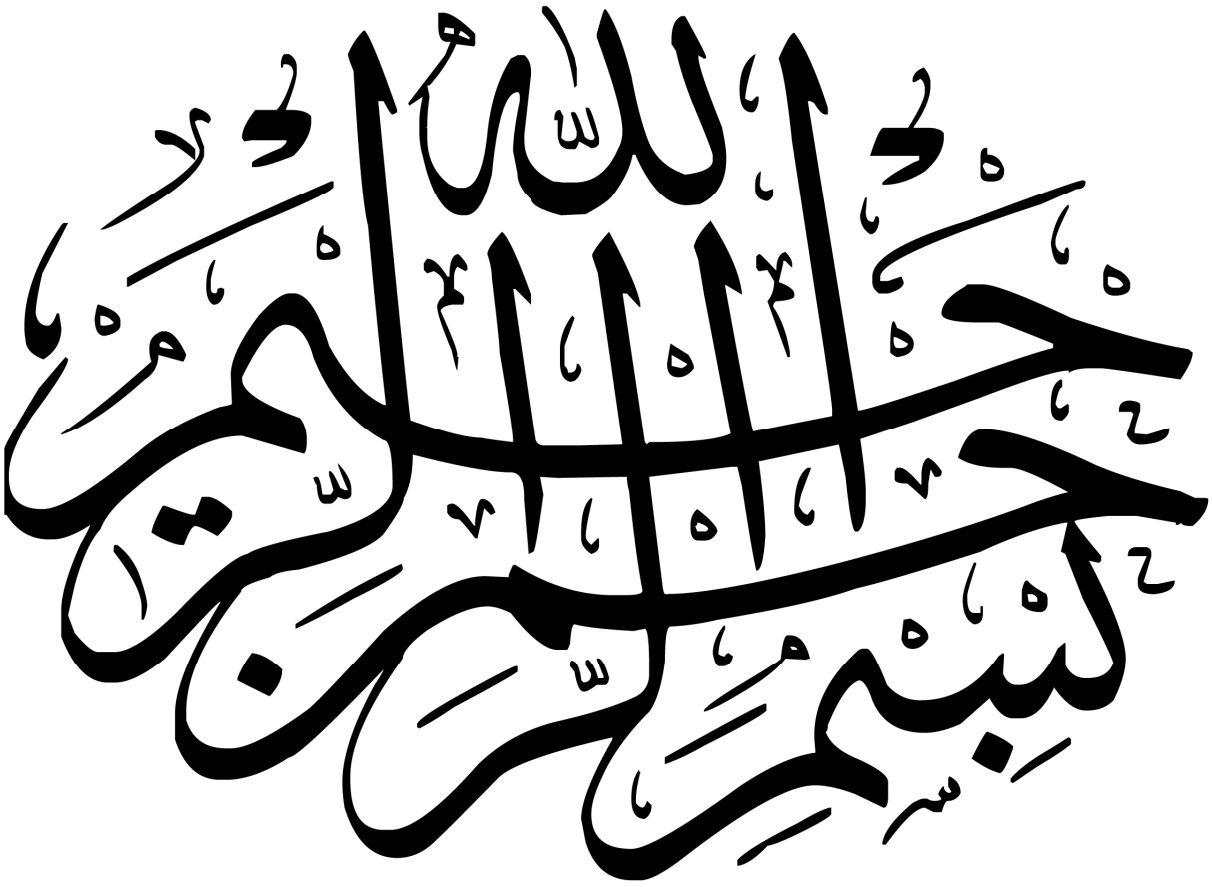
بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

أحمد الله عز وجل على منه و عونه لإتمام هذا البحث.

إلى الذي وهبني كل ما يملك حتى أحقق له آماله، إلى من كان يدفعني قدما نحو الأمام لنيل

المبتغى، إلى الإنسان الذي إمتلك الإنسانية بكل قوة، إلى الذي سهر على تعليمي بتضحيات جسام

مترجمة في تقديسه للعلم، إلى مدرستي الأولى في الحياة،

أبي الغالي على قلبي أطال الله في عمره؛ عبد العزيز

إلى التي وهبت فلذة كبدها كل العطاء و الحنان، إلى التي صبرت على كل شيء، التي رعتني

حق الرّعاية و كانت سندي في الشدائد، و كانت دعواها لي بالتوفيق، تتبعتني خطوة خطوة

في عملي، إلى من ارتحت كلما تذكرت ابتسامتها في وجهي نبع الحنان أمي شهرزاد أعز ملاك على

القلب و العين جزاها الله عني خير الجزاء في الدارين؛

إليهما أهدي هذا العمل المتواضع لكي أُدخل على قلبهما شيئا من السعادة إلى أخي مصعب وأختاي ملاك ومريومة

إلى أحبائي صديقاتي وأخواتي و أصدقائي في الله الذين تقاسموا معي عبء البحث ؛

كما أهدي ثمرة جهدي لأستاذتي الكريمة: وفاء مناصري الذي كلما تظلمت الطريق

أمامي لجأت إليه فأنارتها لي و كلما دب اليأس في نفسي زرعت فيا الأمل لأسير قدما و كلما

سألت عن معرفة زودتني بها و كلما طلبت كمية من و قتها الثمين وفرته لي بالرغم من

مسؤولياتها المتعددة ، إلى كل أساتذة قسم الآداب واللغات ؛

إلى حبيبتي مريومة التي لن أنسى فضلها طالما حييت

إلى الصغار محمد أمين وأمير و أمنية وكنزة وحبيب قلبي محمد ياسين

و إلى كل من يؤمن بأن بذور نجاح التغيير هي في ذواتنا و في أنفسنا قبل أن تكون في أشياء أخرى...

قـال الله تعالى " : إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم"....

الآية 11من سورة الرعد

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل

شكر وعرفان

أحمد الله العلـيّ القديـر على نعمــه وكرمــه، كما أتقدّم بـالشكر والإمتنان العظيم والتقديــر العميــق للأستـاذة: "وفاء مناصري" لما منحتــه لي من نصح وإرشاد، وتوجيــه، وتشجيع، وإلــى كلّ الذين ساندونــي فــي إنجاز هذه الدراســة من قريـب أو من بـعيد

مقدمة

مقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلات والسلام على سيّد الخلق المعلّم الأوّل، المبعوث رحمة للعالمين وبعد:

تتقارب الأمم والشعوب رغبةً أو كرهًا، وتنفتح الآفاق وتكاد تختفي الحدود بين الدول، في عصر أصبح فيه الانفتاح على الآخر، والتعارف والتعايش والتثاقف عنوانًا. عصر تتجه فيه الدراسات المعاصرة نحو كشف طبيعة العلاقات المؤسسة بين أقطار العالم المختلفة، لكشف المغمور، وتعرية المستور وإيضاح الغامض من الرؤى والأفكار التي تصدرها الفئات القطرية والعرقية والدينية عن بعضها. ولعلّ النصوص الأدبية ممثّلة في المتون الروائية خير مسجّل، ومجسّد لحدود تلك العلاقات وما تنبني عليها من مواقف.

حيث تُعتبّر قضيّة "**الأنا**" و" **الآخر** " وما تثيره العلاقة القائمة بينهما من إشكاليات، من أهم المواضيع الّتي تطرّقت إليها النّصوص الروائيّة العربية . وعند تناول الأدب الفلسطيني نجد عددا من الروايات الفلسطينية لمجموعة من الكتاب الذين يحاولون تجسيد نظرتهم للأنا الفلسطينية وللآخر من خلال أعمالهم الروائية .

يسعى البحث في ضوء هذا المفهوم أن يدرس "**صورة الآخر**" في رواية "**عذبة**" للروائي الأردني "**صبحي فحماوي**" ، حتى يكون هذا البحث خطوة لتبيين صورة الآخر الإسرائيلي ، ومن ثم الوصول إلى فهم كامل للهوية العربية الفلسطينية في فترة هامة من تاريخ فلسطين ،وهي إبان الحرب الفلسطينية الإسرائيلية .

ويرمي البحث من خلال الدراسة أن يظهر أنواع الآخر في الرواية ، كما يبرز كيفية تعامل الأنا مع الآخر. وتتحدد إشكالية البحث في نقاط عديدة، كيف تتجلى ثنائية الأنا والآخر في رواية عذبة ؟ وكيف كانت علاقة الأنا بالآخر ؟

هنا وقع اختياري على هذا البحث في نقاط عديدة :

أولا ، ميولي للأدب العربي الحديث ، وخاصة إلى جنس الرواية ، ومما زادني حبا لهذا الجنس وشغفا به أستاذتي وفاء مناصري التي تتلمذت عليها في الجامعة ، حيث كانت دائما تحفزنا على الإطلاع على الروايات والغوص في أعماقها واستكناه معانيها وعدم الاكتفاء بالقراءة السطحية التي لا تفي بالغرض في الكثير من الأحيان .

ثانيا ، حبي الذي ولد معي لفلسطين و رغبتي في التعرف على الأدب الفلسطيني واكتشاف أبعاده وقضاياه .

ثالثا ، أما لسبب اختياري لموضوع الأنا والآخر ، أنه موضوع الساعة حيث أصبح يدرس بكثرة خلال هذه الفترة .

ويتكون البحث من مقدمة وفصلين مذيل بملحق وخاتمة وقائمة المصادر والمراجع .

أما الفصل الأول ، فيتكلم عن الأنا والآخر في الرواية العربية و الفصل الثاني يعالج الصراع بين الأنا والآخر في رواية عذبة .

وقد تبنيت المنهج الوصفي التحليلي باعتباره المنهج الذي يفرض نفسه في هذه الحال ، لما يمكنه من تحليل الروايات بالإضافة إلى استقصاء طبيعة صور هذا الآخر .

وغير خاف أن طرق البحث محفوف بالعوائق والصعاب، وأبرز هذه الصعاب قلة المصادر والمراجع حول الأدب الفلسطيني .

ومن أهم المصادر والمراجع التي اعتمدتها في هذا البحث ، كتاب إشكالية الأنا والآخر لماجدة حمود ، والتراث والهوية ل عبد العزيز بن عثمان التوجري .

وأود في الأخير أن أعبر عن خالص شكري وامتناني لأستاذتي وفاء مناصري لسعة صدرها وتفهمها ومساهمتها في حل المسائل والصعاب التي اعترضتني خلال جميع

مراحل البحث، والتي لولا نصائحها وتوجيهاتها العلمية التي أفدت منها في تقويم البحث وتصويب الأخطاء الواردة فيه لما تمكنت من إنهاء البحث .

وأخيرا ، لقد بدلت ما في وسعي حتى أقدم هذا البحث في أحسن صورة ممكنة في حدود ماسمح به الوقت وما أتيح لي من إمكانيات ، ولست أدعي خلوه من الهنات والعيوب، فإن أخطأت فمن نفسي والشيطان وحسبي أجر الإجتهاد، وإن أصبت فمن الله تعالى.

وأسأل الله أن يقل عثراتي وأن يبصرني بعيوبي إنه ولي ذلك والقادر عليه. والصلاة والسلام على خير المرسلين وخاتم النبيين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين صلاة وسلاما متلازمين إلى يوم الدين.

الفصل الأول

الأنا والآخر في الرواية العربية

الفصل الأول:الأنا والآخر في الرواية العربية

1ـ جدل الأنا والآخر في الوعي الإنساني

أولا: مفهوم الأنا

أـ لغة : وردت كلمة الأنا في لسان العرب بمعنى:

" إسمٌ مُكنًّى، وهو للمُتَكلِمِ وَحدَهُ، وإنّمَا يُبنَى علَى الفتْحِ فَرقًا بينَهُ وبيْنَ أنْ، التِّي هي حَرفُ نَاصبٌ للفعلِ، والأَلفُ الأخيرَة إنّمَا هي لبيانِ الحَركَة في الوَقف"[1].

ووردت في المعجم الفلسفي " أنا ضمير المتكلم، والألف الأخيرة فيه إنما هي لبيان الحركة في الوقف، فإن مضيت عليها سقطت، كقولك: أن فعلت. وقد روي عن (قطرب) أنه قال في أن خمس لغات: أن فعلت، وأنا فعلت، وآن فعلت، وأن فعلت، وأنه فعلت. وقد قيل: أعرف المعارف أنا، وأوسطهما أنت، أدناها هو"[2].

من خلال هذين التعريفين يتبين أن مصطلح الأنا لغة يدل على الذات الفردية المستقلة عن غيرها من الذوات الأخرى .

ب ـ اصطلاحا : وبالعودة إلى مفهوم الأنا اصطلاحا نجد أن المصطلح ينحى منحى آخر مختلف تماما عن المنحى اللغوي ذلك أن الدلالات أن تختلف والتعاريف تتنوع بحسب فهم كل مفكر أو عالم لهذا المصطلح فنجد بأن المصطلح في علم النفس حسب تعريف عالم النفس الأمريكي وليم جيمس (1842_1910) " هي مجموع كل ما يمكنه أن يسميه الإنسان خاصته، ليس فقط جسمه وقدرته النفسية وحسب، بل ثيابه وبيته وزوجته وأطفاله،

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان ،ط1 ، 2000، ص38.

[2] جميل صليبيا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية، دار الكتاب العالمي، بيروت، لبنان 1944، ج1، ص139.

جدوده، أصدقاؤه، شهرته، مؤلفاته، أرضه " [1]. أي أن الأنا تتسع حدودها لتشمل قدرات الفرد وثيابه وحتى الوسط الاجتماعي بما يحتويه .

أما مفهوم الأنا فلسفيا فيأخذ مسلكا شائكا يعتاص أمر الاستفاضة فيه ذلك لتداخله " في الفلسفات القديمة، اليونانية والصينية والهندية، مع مفاهيم النفس والروح والعقل والشعور بالذاتية "[2]. وبذا يأتي القول إن مفهوم الأنا في الفلسفة يشير إلى المتكلم ذاته أي " الأنا في الفلسفة هو القائل في فعل القول باعتبار القول الفعل الوعيوي الأعلى الذي تتدرج تحته مختلف أفعال الوعي في تراتبية بنيوية معينة، على صعيد كينوني وقيمي على حد سواء، وهكذا فالأنا هو القائل باعتبار وعيه لقوله ولقائليته بالذات، وعندما يفهم الأنا من خلال قائليته فإنه يرتبط حكما من خلال قوليته، بذاته أولا، وبغيره ثانيا، وبقوله ومقوله ثالثا، فهو ذاته من يقول، وما يقوله الأنا فإنما يقوله لغيره، بقوله لقائل آخر. بذلك يبرز لنا الأنا كعنوان أعلى لمركب علائقي يتمحور فيه الأنا والآخر والموضوع "[3].

ويتأتى تلخيص ما سلف في المخطط الآتي :

[1] نوربير سيلامي ،المعجم الموسوعي في علم النفس ،ترجمة : وجيه أسعد ، وزارة الثقافة، دمشق ،2001 ، ج1، ص311.

[2] محمد الزايد ،مادة أنا في الموسوعة الفلسفية العربية ،تحقيق معن زيادة وآخرين ،معهد الإنتماء العربي، بيروت، 1986،ص116.

[3] صفاء عبد الفتاح محمد المهداوي ،الأنا في شعر محمود درويش ،وزارة الثقافة ،الأردن ،2013 ،ص20 ،نقلا عن أنطوان خوري ،مادة أنا في الموسوعة الفلسفية العربية ،معهد الإنتماء العربي ،بيروت ،1986 ،مج1 ،ص114.

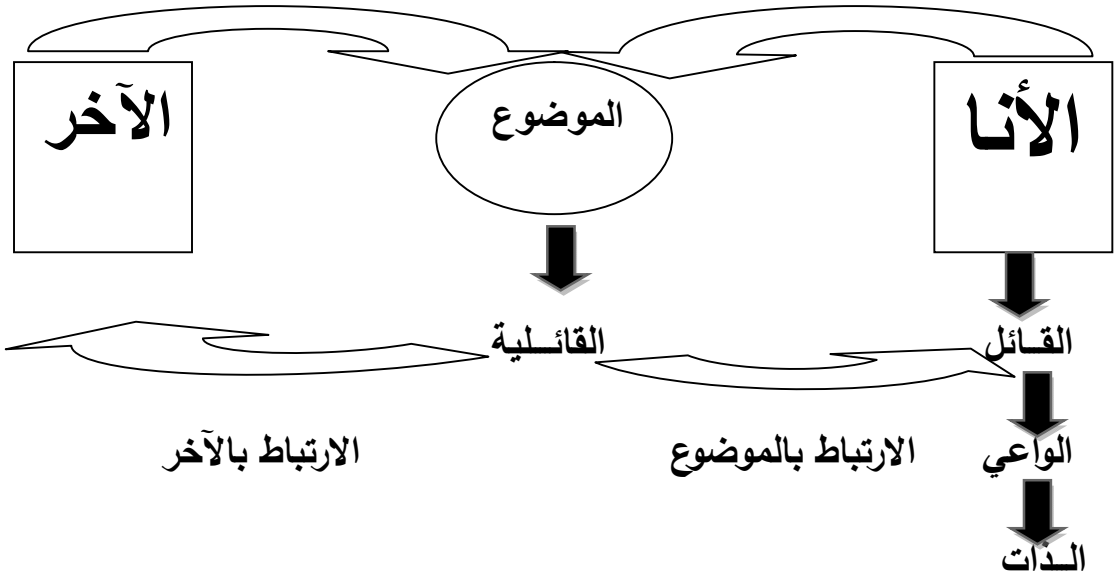

مخطط يوضح مفهوم الأنا فلسفيا

وتأخذ الأنا في الفلسفة الحديثة عدة معان نجملها في الآتي:

" **المعنى النفسي الأخلاقي:** تشير كلمة أنا في الفلسفة التجريبية إلى الشعور الفردي الواقعي، فهي تطلق على موجود تنسب إليه جميع الأحوال الشعورية ؛ وتشير كلمة أنا أيضا إلى ما يهتم به الفرد من أفعال معتادة ينسبها إلى نفسه، فيقول: أنا فعلت، وأنا أبصرت.

المعنى الوجودي: تدل كلمة أنا على جوهر حقيقي ثابت يحمل الأعراض التي يتألف منها الشعور الواقعي، سواء كانت هذه الأعراض موجودة معا أو متعاقبة، فهو إذن مفارق للإحساسات والعواطف والأفكار، ولا يتبدل بتبدلها، ولا يتغير بتغيرها، فالأنا جوهر قائم بنفسه.

المعنى المنطقي: تدل كلمة أنا على المدرك من حيث إن وحدته، وهويته شرطان ضروريان يتضمنهما تركيب المختلف الذي في الحدس. والأنا بهذا المعنى، هو الأنا المثالي، وهو الحقيقة الثانية التي تعد أساسا للأحوال والتغيرات النفسية " [1] ولعل ما يمكن

[1] جميل صليبيا ،المعجم الفلسفي ،ص140.

أن نؤول إليه من خلال هذا المستفيض الأنا هو المنفرد المستقل بذاته عن الغير، حتى لو كانت تربطنا معه علاقته "فأنا" تعني ذاتي.

وعلى أثر ذلك نطرح إشكال آخر هل يأتي وجود الأنا مفصولا عن الآخر؟ وإذا تعذر ذلك فمن هو الآخر ؟

ثانيا: مفهوم الآخر

إن الحديث عن " الآخر" هو الحديث عن أنا أخرى منظورها من قبل "أنا" لأن كل ذات تتحول من "أنا" إلى آخر حسب زاوية النظر التي تلاحظ منها لذلك وردت عدة تعريفات في تحديد الآخر ومفهومه.

أ- لغة، جاءت لفظة- آخر- في القرآن الكريم في **قوله تعالى:** "فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ » ﴿١٠٧﴾ " [1].

وفي معجم الوسيط ف"الآخر": " تأخر، والشيء جعله بعد موضوع هو الميعاد أجله (تأخر) عنه جاء بعده، وتقهقر عنه ولم يصل إليه، والآخر أحد الشيئين، ويكونان من جنس واحد " [2].

أما في القاموس المحيط فورد "الآخر" بمعنى " الآخرُ: خلاف الأول، وهي بهاء، والغائب، كالأخير، وبفتح الخاء: بمعنى غير"[3].

من خلال ما سبق ذكره يتبين أن المصطلح لغويا ، يأخذ معنى النقيض، أي نقيض الذات أو الأنا، والمخالف لها.

---

[1] القرآن الكريم ،سورة المائدة ،الآية 107.

[2] شوقي ضيف ،المعجم الوسيط ،مكتبة الشروق الدولية ، ط4 ، مصر، 2004، ص8.

[3] مجد الدين الفيروز آبادي ،القاموس المحيط ،تحقيق أنس محمد الشامي وزكرياء جابر أحمد ،دار الحديث ، القاهرة ،مصر ،2008 ، م1،ص41.

ب ـ اصطلاحا :

إذا أردنا ضبط تعريف واحد ومحدد للآخر، نجد أنفسنا عاجزين عن فعل ذلك وإعطاء تعريف واحد وموحد له، ذلك أن المصطلح من الناحية الاصطلاحية فضفاض، بحيث لم يقتصر على علم بحد ذاته بل تغلغل في جميع العلوم من أدب وفلسفة وغيرهما كثير...

مصطلح الآخر في العربية هو " ترجمة لمصطلح تنامي في بعض اللغات الأوروبية لاسيما الإنجليزية والفرنسية " [1] ، وأصبح يرد " بوصفه بنية لغوية رمزية لاشعورية تساعد الذات على تحقيق وجودها ضمن علاقة جدلية بين الذات ومقابل لها هو من نطلق عليه (الآخر)" [2].

" وقد شاع مصطلح الآخر في الفلسفة الفرنسية المعاصرة خاصة عند" جون بول سارتر" و"ميشيل فوكو" و"جاك لاكان" و"إيمانويل ليفيناس" وغيرهم. ولعل سمة "الآخر" المائزة هي تجسيده ليس فقط كل ما هو غريب (غير مألوف) أو ماهو (غيري) بالنسبة للذات أو الثقافة ككل، بل أيضا كل ما يهدد الوحدة والصفاء، وبهذه الخصائص امتد مفهوم الغيرية هذا إلى فضاءات مختلفة تمثل التحليل النفسي والفلسفة الوجودية والظاهراتية "[3] ، ومن ضمن ما يمكن أن يؤول إليه هذا الطرح هو أن الآخر يمثل نقيض الأنا فيما هو علامة دالة على وجودها .

فالآخر بالنسبة إلى "سارتر" شأنه في ذلك شأن " لاكان"، عامل فعال في تكوين الذات إذ، "يرى سارتر أن وعي الذات الوجودي يكون بناءً على الطرف الآخر، بل ينطوي على عداد يدمر إنسانيتين لأنه يربط الكينونة بطريقة جبرية وغير مستقلة بين لحظتي "ما كان"

[1] سعد البازغي ،الإختلاف وثقافة الإختلاف ،المركز الثقافي العربي ،ط1 ،بيروت ، 2008 ،ص32-33.

[2] سعد البازغي ،الإختلاف الثقافي وثقافة الإختلاف ،ص34.

[3] ميجان الرولي وسعد البازغي ،دليل الناقد الأدبي (إضاءة لأكثر من تسعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا) ،المركز الثقافي ،ط5 ،بيروت، لبنان ،2007 ،ص21.

وما "سيأتي" فهذا الوضع يجعل الكينونة تصرف بطريقة مخجلة بسبب الآخر الذي يمنع تماما حرية الاختيار، لذلك اختتم سارتر مسرحيته "لا مخرج" بمقولته المشهورة الآخرون هم الجحيم " [1] .

فلقد ربط سارتر بين الآخر والجحيم إذ جعل الآخر بالنسبة لنا هم الجحيم أما عند "فوكو" فإن الآخر " متعلق بالذات تعلق لا فكاك منه شأنه في ذلك شأن ارتباط الحياة بالموت، فالآخر بالنسبة إلى "فوكو" هو "الهاوية" أو الفضاء المحدود الذي يتشكل فيه الخطاب "[2]، وكما يرى "فوكو" فإن الآخر هو الموت بالنسبة للجسد الإنساني.

" إن الآخر عند "فوكو" هو "اللامفكر" فيه في الفكر نفسه، أو هو الهامشي الذي ستبعده المركز، أو هو الماضي الذي يقصيه الحاضر، لكنه أيضا جوهري بالنسبة لكينونة الخطاب الذي يستبعده، فنحن لا نعرف الحاضر دون الماضي ولا نعرف الذات دون الآخر، أما على مستوى الخطاب فالآخر هو معالم الانقطاع والفصل الذي يحاول التاريخ استعادها ليؤكد استمراريته"[3] .

وهنا يتضح لنا أن مفهوم الآخر يتحدد حسب الذات مما يجعل الآخر مختلفا عنها ولهذا لا يمكن أنحدد الآخر في صورة واحدة، فهو فقط يختلف عن "الأنا" ولكل وجهة نظره. ومنكل ما سبق نستنتج أن "الآخر" هو الغير سواء كان الخصم الذي اصطدم مع الذات وكان معاديا لها ومتمردا عليها أو كان صديقا متعاطفا معها وانجذب نحوها، لأن في كل الأحوال لا يمكن أن يعيش الأنا في غياب الآخر لأنهما رغم طبيعة العلاقة التي تجمعهما(انفصال / تواصل /...) فهما بالضرورة متلازمان.

---

[1] (ينظر) نفسه ، ص22 .

[2] نفسه ،ص22.

[3] ميجان الرولي وسعد البازغي ،دليل الناقد الأدبي ،ص22.

ثالثا: العلاقة بين الأنا والآخر

كل شيئ في الوجود قائم على الثنائيات، فوجود الطرف الأول يستدعي بالضرورة حضور الطرف الثاني في المعادلة، والثنائيات لا تعد ولا تحصى، مثل ثنائية الليل والنهار، ثنائية الخير والشر، ثنائية الخفي والظاهر، وكذلك الأنا والآخر، هذه الأخيرة تعد من أكثر الثنائيات التي أثارت جدلا كبيرا، وذلك تباعا للعلاقة التي تجمع بينهما، فالأنا مرتبطة دون أدنى شك بالآخر، فهو مرآة عاكسة لصورتها يقول أدونيس : " إن الأنا ليست وحدة، إلا ظاهريا. إنها عمقيا، تمزق وانشقاق. (الآخر) نفسه (مقيم) (سلبا أو إيجابا) في قرارة (الأنا). لهذا فصل دون وصل لا (أنا) دون (الآخر) "[1]. من هذا المفهوم نفهم أن مفهوم الآخر يبدأ بالتشكل تدريجيا لدى الإنسان منذ أن يبدأ الإنسان بالتعرف على ذاته وأنه لا يمكننا التعرف والحكم على طرف دون ملازمة الطرف الآخر. فالأنا والآخر مرتبطان ببعضهما البعض .

[1] أدونيس ،الثابت والمتحول ،بحث في الإبداع والإتباع عند العرب ،دار الساقي ،ط7 ،بيروت ،2008 ،ج1 ،ص27.

ويمكن أن نجمل ما ذكر في الخطاطة الآتية :

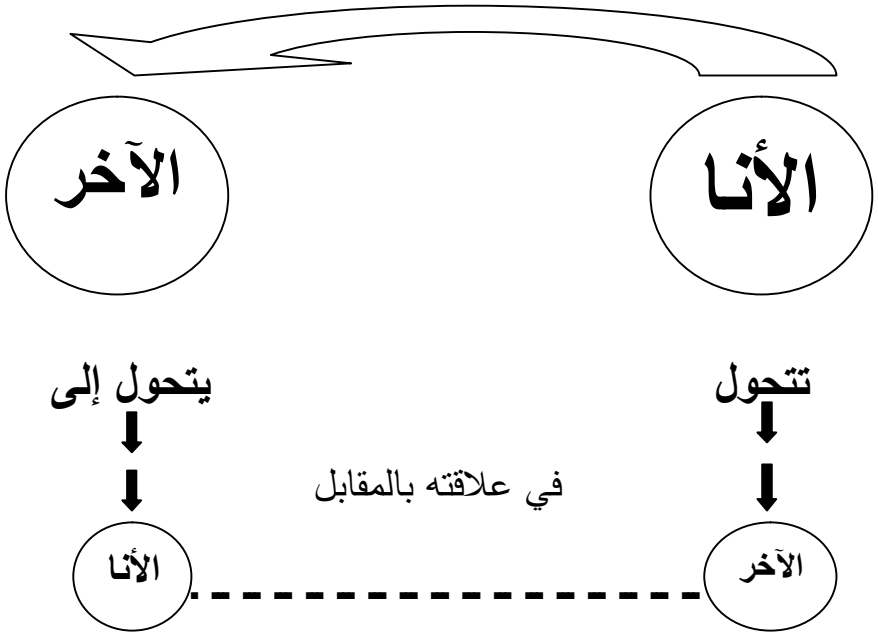

مخطط يمثل علاقة الذات بالآخر

ونجد أن ثنائية (الأنا والآخر) تتبني أساساً على المفارقة والاختلاف الموجود بين ذاتين أو بين فردين. وقد " أجمعت العرب على أن الاختلاف والمخالفة في اللغة تعني أن ينهج كل شخص طريقا مغايرًا للآخر في حاله أو في قوله، والخلاف أعم من الضد، لأن كل ضدين مختلفان، وليس كل مختلفين ضدان وتتسع مقولة الاختلاف والخلاف لتشمل أحيانا المنازعة والجدل والجدال والمجادلة. وما إلى ذلك، لكن الاختلاف يبقى منه كونية لا مناص منها"[1] بمعنى أن الاختلاف الذي يجمع بين الأمور ويفرقها ليس عيبا ولا نقصا، وإنما هو مما يغني ويفيد كل من الأنا والآخر.

فالعلاقة بين "الأنا" و"الآخر" قائمة على الوعي والإدراك لكل منهما، إذ " أن إدراك الآخر جزء من إدراك الذات، إدراكه كما هو، ليس كما نريد، وإن تصوره وفهمه يطرح الآليات

[1] عالية زروقي ،صورة الآخر في الرواية الجزائرية من سنة 1950 إلى سنة 2010م ، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه ،ص18.

الصحيحة للتعامل معه، فعلى الرغم من وجود الاختلافات العديدة بين الأنا والآخر إلا أنه لابد من إدراك الواحد منهما للآخر، فالفارق سواء كان فارقا بين الجنسين أو فارقا في السلوك أو الشخصية أو فارقا عرقيا، أو ثقافيا يمكن أن يصبح وسطا تنشأ فيه روح عدائية، ولكنه يمكن أيضا أن يكون بيئة لخلق تفاهم وتعاطف متبادلين"[1] ، وتبعا لذلك فإنّ العلاقة بين الذات والآخر علاقة " في غاية التعقيد حيث يصبح الآخر شرطا لتحرر الذات من ذاتية عمياء لا ترى إلا نفسها ـ وربما لا تراها ـ ومن ثم تحمل نهاية لصيرورتها (...) وفي الوقت نفسه فإن تحرر الذات من حدودها، والخروج إلى الآخر إنما يعني التجدد بإدراك نقاط القوى لدى الآخر، التي تعني نقاط الضعف لدى الذات"[2]. وبذلك فإن العلاقة بين الأنا والآخر بقدر ما هي علاقة شرطية تلازمية، هي علاقة جدلية.

[1] عالية زروقي ،صورة الآخر في الرواية الجزائرية من سنة 1950 إلى سنة 2010م ، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه ،ص18.

[2] المرجع نفسه ،ص19.

2ـ الأنا والآخر وإشكال الهوية :

أولا: في مفهوم الهوية

تعد الأصالة ضرورة للملمة بالذات فـ" حين يحس المرء بأن ثمة ما يهدد وجوده، يسرع إلى تأكيد ذاته باحثا عن شيء أصيل كامن في أعماقه، يركنُ إليه، كي يحس بالثقة والأمان والقوة لمواجهة الخطر، وبذلك تتشكل الهوية في أدغال الذات حيث تتجسد عبر انتماءات ومكونات تتعلق بالجنس والعمر والطبقة الاجتماعية والموروث الثقافي، الذي يشكل ركيزة أساسية فيها، مما يجعل الآخر المعتدي يهتم بالقضاء عليها، أي على كل الثوابت التي تشكل الروح والوعي، حينئذ يسهل القضاء على الخصوصية، لذلك اعتنت بها الشعوب المتحررة حديثا "[1]، أي أن الذات البشرية تحتوي على كم هائل من الأحاسيس والمشاعر والغرائز ،وغريزة البقاء في الذات البشرية تدفع بها دائما إلى إثبات هويتها خصوصا إذا شعرت بالخطر ،لتبحث عن مكامن الأمن والقوة ،فالهوية إذن تشكل أيضا نتيجة غرائز في الذات البشرية ،وتتضح معالم هذه الهوية وتتمظهر في انتماءاتها للمجتمع والموروث الثقافي الذي يسعى الآخر بدوره إلى تحطيم النموذج الذي بنته هذه الشعوب وطمسه . وكما يبيّن لنا زكي نجيب محمود، إذ أن الهوية الخاصة " لا تُصان ... إلا بأن يتمسك الشعب بثقافته التي ورثها عن أسلافه، أي في العقيدة ،في اللغة، في الفن، في الأدب، وفي كثير من النظم الاجتماعية" [2] ، ومؤدي هذا الطرح أن الهوية تتحدد بمقدار الارتباط الوثوقي بين الإنسان ومرجعيته الإنتمائية ،وعليه فإن الهوية هي

" بمعنى الأصل (الأرخي) هي إرجاء الظهور. إن الأصل فيها المحكوم لغة بمنطق المعاودة والتكرار، ليس سوى الديمومة التي لا تنفصل عن الصيرورة. إنها أصل لا ينفك عن الابتداء والحضور، ذلك أن "مكثها في مستوى البدايات الصلبة" إنما يوقعها في عداد

[1] ماجدة حمود ،إشكالية الأنا والآخر ،سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ،الكويت ،2013،ص15.

[2] المرجع نفسه ،ص15.

النسيان. لذلك فشرط حضورها هو إفصاحها في كل مرة أي في كل ولادة جديدة عن ذاتها، ذلك هو شرط إمكانها كبداية ينساب فيها الزمن ولا يمضي" [1]. " إن هذا الضرب من الهوية الذي لا يمضي هو ما يسميه بول ريكور: الهوية الفيزيائية العينية

L» identité au sens du même «، هذه الهوية هي التي تفيد الاستمرارية في الزمن (...)، حيث تواجه المختلف، أي المتغير المتحول. في مقابل الهوية الأخلاقية

L» identité au sens d » ipse ، وهي هوية لا تفيد أي إثبات لنواة مزعومة ثابتة في الشخصية "[2]. فبول ريكور من خلال طرحه هذا يؤكد بأن الهوية هويات ،ويوضح ذلك من خلال حديثه عن الهوية الفيزيائية العينية التي تفيد الاستمرار في الزمن وتواجه المتغير المتحول ، والهوية الأخلاقية التي لا تفيد أي ثبات لفواة في الشخصية .

و جاء في كتاب "الكليات" لأبي البقاء الكفوري: "أن ما به الشيء هو باعتبار تحققه يسمّى حقيقة وذاتًا، وباعتبار تشخصه يسمى هوية، وإذا أخذ أعمَّ من هذا الاعتبار يسمَّى ماهية. وجاء في هذا الكتاب أيضا أن الأمر المتعقل من حيث أنه مقول في جواب (ما هو) يسمى ماهية، ومن حيث ثبوته في الخارج يسمى حقيقة، ومن حيث امتيازه عن الأخيار يسمى هوية "[3].

يوضح من خلال تعريفه هذا أن مصطلح الهوية يتخذ العديد من الصور أو يتقاطع بالأحرى مع العديد من المصطلحات مثل الماهية ، كما يوضح بين الماهية التي ترد الأمر المنغفل من حيث أنه مقول في جواب ماهو ،ومن حيث ثبوت الأمر المتغفل في الخارج .

[1] الحاج ذواق ،الدين والهوية بين ضيق الإنتماء وسعة الإبداع ، الرباط ،2016 ،ص15.

[2] المرجع نفسه ،ص15.

[3] عبد العزيز بن عثمان التوجري ،التراث والهوية ،المنظمة الإسلامية التربية والعلوم والثقافة ،اسيسكو،الرباط، ص20.

" والهوية عند **الجرجاني** في كتابه "التعريفات" هي: الحقيقة المطلقة، المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق" [1]، فالجرجاني من خلال قوله هذا يؤكد تأكيدا قاطعا بأن الهوية حقيقة مطلقة بمعنى أنها لا تشوبها شائكة ولايجوز الشك بها ،وهو يضرب لنا مثال الشجرة بحيث شبه الهوية بالنواة التي تخلق أو تتولد منها الشجرة فهي الأساس الأول لكل شيء .

إنَّ هذا التداخل القائم بين مفهوم الهوية وحزمة من المصطلحات الأخرى والذي شكّل سببا من أسباب ظهور مفهوم الهوية يشكل غامض يصعب ضبطه بدقة، وهذا الغموض يعود أيضا لطبيعة تبلور هذا المفهوم وتطوره، وفي هذا الصدد يوضح عبد الجليل ذلك بقوله:

" الهوية علم معرفي مشتق من حزمة من علوم اجتماعية إنسانية نظرية وطبيعة، لذلك دارت حولها حوارات ومناقشات عديدة، تناولها علماء ومفكرون في مجالات علمية وأكاديمية مختلفة ومتعددة. فقد تناولها بالتنظير علماء الاجتماع والعلوم السياسية والعلوم القانونية والتاريخ وعلم الاجتماع وعلم النفس وعلم الأنثروبولوجي والفلسفة والمنطق، كما تجد مجالا لها في العلوم التطبيقية المعملية والمختبرية (علوم الطبيعة)"[2].

" مصطلح الهوية ليس وليد الساعة، بل يضرب بجذوره في عمق تاريخ التفكير الإنساني وتحديدًا قد يظهر مفهوم الهوية لأول مرة مع المنطق الأرسطي، وتمَّ توظيفه منذ تلك اللحظة، في السياقات العلمية المنطقية والرياضية بصفة خاصة، وفي السياقات الفلسفية بصفة عامة، لكن لا ينبغي أن نتصور أن مفهوم الهوية قد تحجر في ما يمكن أن يوحي به الاستدلال المنطقي أو الرياضي الأرسطي فقط "[3]، أي أن الهوية قديمة قدم التاريخ البشري لارتباطها بالذات الإنسانية بشكل مباشر ،ولقد احتضنها المنطق الأرسطي لاول

---

[1] المرجع نفسه ،ص20.

[2] مولاي أحمد بن نكاح ، ملامح الهوية في السينما الجزائرية ،بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه ،جامعة وهران ، 2012- 2013،ص31.

[3] المرجع نفسه ،ص33-34.

مرة لتنتقل بعد ذلك إلى العلوم والمعارف الرياضية والمنطقية الفلسفية أيضا ،لكن وبالرغم من هذا الارتباط بالمنطق وعلومه إلا أن الهوية بمفهومها الواسع لم يصبها الركود والتحجر بل اتسعت رقعة البحث والأخذ والعطاء لتشمل ميادين ومعارف أخرى .

" ... كانت بدايات التفكير في "الهوية" التي يرى أرسطو أنها تعبر عن شكل من أشكال الثبات المخالف للتغيير، فالهوية بحسب رأيه تعني أن للشيء ذاتية خاصة يحتفظ بها دون تغيير، فالشيء دائمًا هو هو (...) لم يطرأ عليه أي تغيير"[1] ، ليأتي دور جون لوك من خلال إسهامه في بلورة هذا المصطلح متبنيا تصورًا مختلفا، مفاده أن " ما يجعل الشخص "هو هو" عبر أزمنة وأمكنة مختلفة، هو ذلك الوعي الذي يصاحب مختلف أفعاله وحالاته الشعورية من شم وتذوق وسمع وإحساس وإرادة...تضاف إليها الذاكرة التي تربط الخبرات الشعورية الماضية بالخبرة الحالية، مما يعطي لهذا الوعي بالإحساس بالاستمرارية والديمومة فتتشكل بذلك "الأنا" كذات مطابقة لذاتها أي لها هوية "[2].

بهذا نجد **جون لوك** يحاول أن يبلور مفهوم الهوية من منظوره هذا، متركزًا على عنصرين أساسيين، بداية بالوعي المصاحب للأفعال، بمعنى أنه لا يمكن أن تتحدث عن هوية الشخص في غياب وعيه بذاته وبنفسه وأفعاله، فالوعي أساس من أسس تشكل الهوية الشخصية بالنسبة **لجون لوك**، بالإضافة إلى العنصر الآخر والمتمثل في الذاكرة .

[1] المرجع نفسه ،ص34.

[2] مولاي أحمد بن نكاح ، ملامح الهوية في السينما الجزائرية ،بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه ،ص36.

ويمكن أن نختصر ذلك في الخطاطة الآتية :

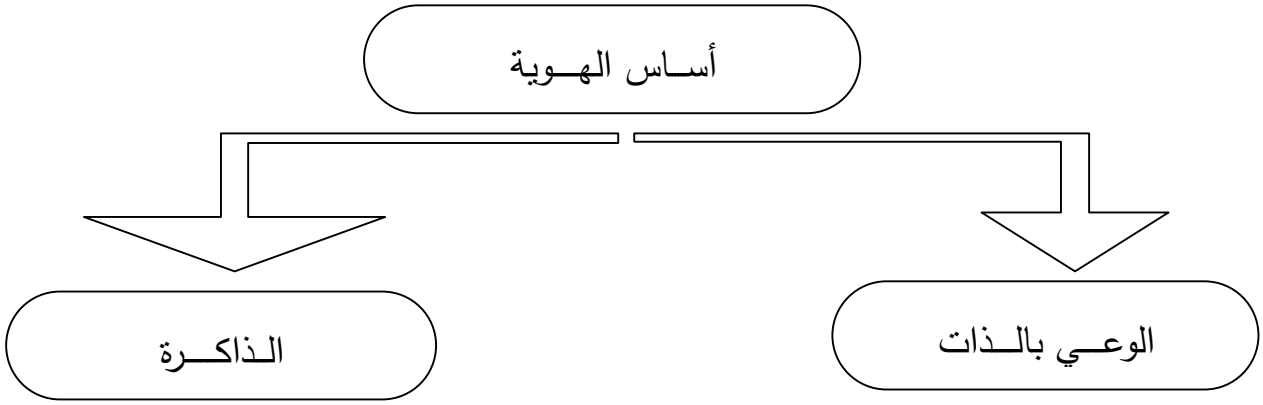

مخطط توصيلي لأساس الهوية لدى جون لوك

ننتقل من **جون لوك** إلى محطة أخرى تتمثل في آراء **جول لاشوليي** الذي حاول أن يطرق الموضوع من زاوية أخرى وإن لم يبتعد كثيرًا عمَّا طرحه جون لوك، فهو يرى« أن الذي يولد لدى الفرد إحساسًا بأن له هوية، أو ذاتًا متميزة، قابل للاختزال في عامين، استمرار نفس الطبع، وترابط الذكريات "[1].

وهكذا يتواصل البحث والتفكير في "الهوية"، فهنا نحن نصادف **أرثور شوبنهاور** الذي تناول أيضا هذا المفهوم من زاوية قد تختلف عمَّا تعرضنا له الى حد الآن. ذلك أن **شوبنهاور** يربط هوية الشخص بالإرادة، حيث " ينفي **شوبنهاور** أن تكون هوية الشخص متوقفة على مظاهره الجسمية لأنها خاضعة للتغيير. كذلك يرفض ربط الهوية بالذاكرة والشعور، لأن معطيات الشعور في تغير دائم وأحداث الماضي يعتريها النسيان بفعل تلف الذاكرة بسبب الشيخوخة أو المرض. كما أن الإنسان قد ينقطع في بعض الحالات عن التفكير. فالعنصر الثابت فينا إذن والذي يشكل أساس هويتنا ونواة وجودنا هو الإرادة"[2].

[1] المرجع نفسه ،ص35.

[2] مولاي أحمد بن نكاح ، ملامح الهوية في السينما الجزائرية ،بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه ،ص36.

ونختصر ذلك في الخطاطة الآتية :

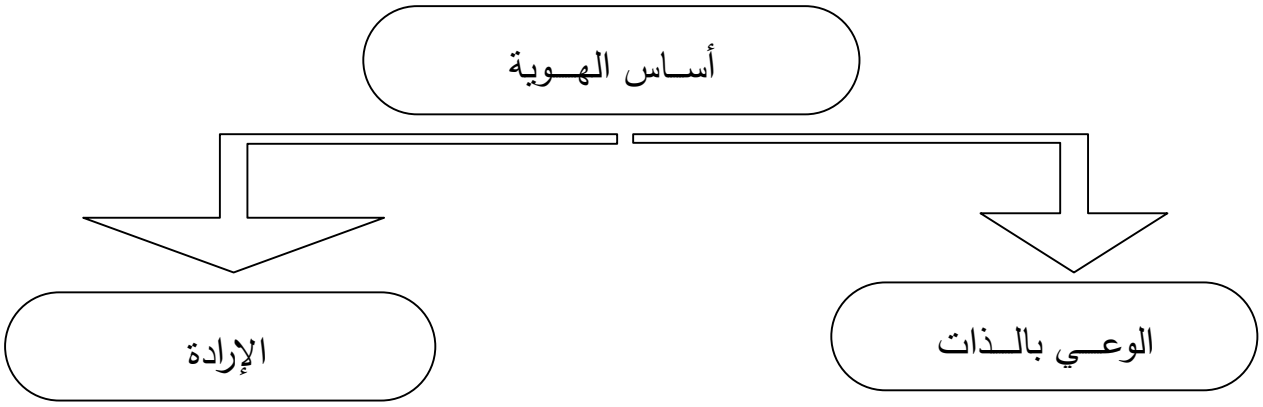

مخطط توصيلي لأساس الهوية لدى أرثور شوبنهاور

بهذا الشكل يتطور مفهوم الهوية من مرحلة إلى أخرى ومن مفكر إلى آخر عبر الفترات التاريخية، وبذلك نلمس مدى قابلية هذا المصطلح وهذا المفهوم للتلون بالمناخ الفكري والفلسفي السائد، وقابليته للتحول والتطور.

ثانيا: الهوية وإشكال الأنا والآخر

" إن الهوية هي ما يصمد من الإنسان عبر الزمن، إذ تلازمه مكونة شخصيته، ومحددة معالمه بشكل ثابت، مما يمنح إبداعه طابعا خاصا، فلا يكون مسخا للآخرين، لهذا تعد شرطا ملازما للفرد، يؤثر في الجماعة، ويمنحها سمة خاصة بها، لذا لا نستطيع فصل "أنا" عن "النحن" لأن الهوية تحقق شعورا غريزيا بالانتماء إلى الجماعة والتماهي بها "[1]، أي أن الهوية بما تمنحه للفرد أو الذات من خصوصية ،وتميز هي بمثابة جواز سفر إلى الآخرين ،ذلك أنها تتحقق كوجود ضمن الأنا الجمعي .

" إنَّ المثقف لا يمكن أن يرى في الهوية توقعًا على الذات، كما أنه لا يمكن أن يرفض الانفتاح على الآخر، من أجل الحفاظ على مكوناتها، لأن ذلك يعني الجمود والضعف

[1] ماجدة حمود ،إشكالية الأنا والآخر ،ص15.

والانحطاط، مما يناقض مفهوم الثقافة (...) لذلك بدأ المثقف، سواء كان مفكرا أم روائيا يرفض قمع إرادة التغير وعرقلة أي محاولة لاختراق الحواجز العقائدية والعرقية التي تقيمها "الأنا" لأن الذات الخائفة من الإمحاء، تزداد تقوقعا على نفسها، ورفضها للآخر. لكن المثقف الحقيقي يتجاوز هذه الرؤيا المغلقة، ويبتعد عن التعامل مع مكونات هويته القومية بصفتها جوهرًا ما ورائيا أو عنصرًا نقياً أو بنية ثابتة أو حقيقة متعالية أو شعارًا مقدسًا، وبذلك يخرجها من إطارها الجامد، وينظر إليها بصفتها شرطا يمكن تغييره"[1].

" إن الآخر هو المختلف في الجنس أو الانتماء الديني أو الفكري أو العرقي، وتتضح إشكالية الأنا (العربية، الإسلامية) والآخر الغربي بسبب سوء التفاهم والمواجهة السياسية والعسكرية، أما علاقة الذات به من الناحية الثقافية والاقتصادية والتقنية، فقد بدت ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها. وهكذا لا تتضح ملامح الهوية من دون لقاء الآخر. إذ أن العزلة عنه تجعلنا ذات بعد واحد، فيسرع إليها العطب والجمود، في حين نجد اللقاء معه يمنحنا أبعادًا مركبة، تتفتح على أكثر من عالم، ولكن هل تشكلت هوية "الأنا" في الخطاب العربي عبر لقاء الآخر أم عبر مواجهته؟ أم الاثنين معًا؟ "[2].

يتضح من خلال هذا الطرح بأن الآخر عملة ذات وجهين ،وجه ظاهر وآخر خفي ،ولكن بالرغم من تعدد قراءات الآخر ،فوجوده ضروري لفهم الأنا وتشكل هويتها ،حتى وإن اتسعت الهوة بين العالم الإسلامي الذي يمثل الأنا أو الذات ، والعالم الغربي الذي يمثل الآخر بكل تمظهراته ، إلا أن الآخر يبقى شرطا لابد من توفره لمعرفة الأنا لوجودها.

[1] المرجع نفسه ،ص16.

[2] ماجدة حمود ،إشكالية الأنا والآخر ،ص17.

" إن هذه الإشكالية هي أحد وجوه أزمتنا الذاتية، التي لا تحل لها سوى تجاوز النظرة الضيّقة التي ترى العدائية الغربية من خلال ثنائية الأنا والآخر المعتدي، فعلينا أن نمارس هويتنا واختلافنا بشكل نعيد فيه ترتيب العلاقة مع ذواتنا ومع الآخر"[1].

"وقد وجدنا من يدعو إلى نفي الغرب من حياتنا، ويرى الهوية العربية نقيضا للآخر! وبذلك يبدو خائفًا (...) فتضيق نظرته، ويلجأ دفاعًا عن هويته إلى وضع الآخر في صورة نمطية (...) إن مثل هذه الصورة النمطية لم تتكون بتأثير العدوان الذي تعرضت له «الأنا» اليوم بل كأثير حروب الماضي مما أنتج سوء تفاهم يكاد يكون موروثا، لذلك مازالت آثاره تنغص العلاقة بيننا وبين الآخر"[2].

" تبرز خطورة هذه النظرة الضيّقة، في كونها قد تحول الهوية إلى نوع من التحزب والتعصب أي إلى انغلاق الذات ورفض الآخر، والعرب حين ينغلقون على ذواتهم بدعوى الهوية يغلقون أبواب الحياة الحديثة، وكي يكونوا أبناء عصرهم فاعلين فيه، عليهم أن ينفتحوا على الآخر، من دون مسخ هويتهم. وهكذا فإن أي تطوير للذات في حاجة إلى لقاء مع آخر مختلف والاحتكاك به من دون خوف على هويتنا" [3]،أي أن النظرة الضيقة للأنا في فهم الآخر أحيانا ما يوقعها في شباك التعصب ونفي الآخر وهذا ما يسلك بالهوية مسلك التحزب والانغلاق التام على ذات الآخر ، لذلك يجب أن تعيش متفتحة على العالم الآخر الذي هو عامل أساسي في شكل الهوية ولكن بتحفظ أي تحب الذوبان الكلي في الآخر وهذا ما يفقد الأنا هويتها ويجعلها في موضع التابع لا أكثر.

[1] المرجع نفسه ،ص17.

[2] المرجع نفسه ،ص17.

[3] ينظر ،ماجدة حمود ،إشكالية الانا والآخر ،ص18-19.

3ـ الأنا والآخر في الرواية الفلسطينية:

يفعِّل التواصل الثقافي بين الحضارات سبل الانفتاح والتطور والتواصل والتعارف بين الأمم والشعوب " إذ تُطرح على مستواه إشكاليات عديدة تتعلق بالهوية، وحضور الآخر فكرًا وتواجدًا في فكر أمة من الأمم، ومدى إسهامه في بلورة عقلية الأفراد والمجتمعات، ومدى قبوله والتأثر به أو التأثير فيه، وإذا كان هذا الحوار لا يجد متنفسا ورحابة فضاء إلا في الجنس الروائي، الذي يُعد أكثر الأنواع الأدبية قدرة على تصوير الواقع الاجتماعي والتفاعل الجدلي معه، بحيث تصير مادة ثرية تساعد في تتبع العلاقات القائمة بين الأفراد المتصارعة في الرواية والتي تعكس الصراع القائم في الواقع، كما تعد الرواية الخيالية أوسع فضاء "[1] إذ يجد " تأثر الذات بالآخر غير الذات وسطًا ممتازًا في القصص الخيالية، من أجل إجراء التجارب الفكرية التي لا تستطيع العلاقات الحقيقية للتخاطب والتبادل أن تغيِّبها، على العكس من ذلك فإن تلقي المصنفات القصصية يساهم في التكوين الخيالي والرمزي للتبادل الفعلي للكلام والعمل، وهكذا فإن الكائن المتأثر على الحال القصصية يتداخل في الكائن المتأثر للذات على الحال الحقيقية "[2]. وبذلك فإن الروائي من خلال العلاقات الخيالية التي يقيمها في نصه بين الأنا والآخر ، تتيح له فرصة التحرك بحرية أكثر ،بعيدا عن النمطية والواقعية المألوفة .

" ولعل الصراع القائم في المجتمعات من داخلها (بين أفراد المجتمع الواحد) وخارجها(بينها وبين غيرها) يعد مادة خامًا، شكلت موضوعات مهمة للرواية العربية، نسجت أحداثها وحركت شخصياتها ونقلت بذلك معاركها، فطرحت ثنائية الأنا والآخر على مستواها، بتعدد أصنافها عبر أنماط ورؤى متباينة، وإن كادت ثنائية شرق / غرب

[1] عالية زروقي ،صورة الآخر في الرواية الجزائرية من سنة 1950 إلى سنة 2010م ،بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه ،ص45.

[2] بول ريكور ، الذات عينها كآخر ، ترجمة وتقديم : جورج زيناتي ،مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت ،لبنان ،ط1 ،2005 ،ص608.

تطفو على سطح علاقاتها إذ شكلت نسيجًا فكريا وأدبيا مع بواكير النهضة العربية الحديثة، ومازالت خيوطه لم تُعقد حتى الآن وجسدت الملامح الفارقة بين الشرق والغرب، أو "نحن" و "الآخر" لحمة هذا النسيج وسداه، وعلى أساسها رسمت الأبعاد وتحددت الزوايا والظلال"[1].

" تشكلت في النصوص الروائية العربية مواقف متباينة بين الروائيين حول الآخر(الغرب)، ورؤى نمطية أخرى خيالية، يسعى الدارسون في ميدان الأدب المقارن الوقوف عليها، ومعرفة توجهاتها وإن كان البعض يرى أن هذه الثنائية قد أشبعت درسا" [2] من قبل الدارسين والباحثين العرب والأجانب على حد سواء .

ونجد الإشارة إلى أن مواقف الروائيين العرب اتجاه الغرب لا تكاد تخرج عن الأنماط المعروفة في الأدب المقارن، من رؤية انبهارية ، وعدوانية وأخرى حضارية.

أ- الرؤية الإنبهارية:

« وتعتبر عن موقف إعجاب الأنا بالآخر، وربما الحماسة لإقامة العلاقة معه لاسيما بعد تأمل منجزاته وحضارته والافتتان بتقدمه وازدهاره في تبني العلوم والتقنيات، والمعارف والآداب، فهذا الاندهاش والانبهار على حساب الأنا، ليأتي من عدم رؤية الآخر إلا في جانبه الإيجابي المنظم والمتفوق والعقلاني المتولد عن أثر الصدمة الأولى المتمثلة في رحلة العرب إلى بلاد الغرب.منذ القرن التاسع عشر، أين برزت الفوارق الشاسعة في العيش والثقافة والحرية وممارسة الفكر والسياسة والأدب "[3].

---

[1] عالية زروقي ،صورة الآخر في الرواية الجزائرية من سنة 1950 إلى سنة 2010م ،بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه ،ص46.

[2] ينظر ،جميل حمداوي صور جدلية الأنا والآخر في الخطاب الروائي ،موقع:

https://arar.facebook.com/tnmytbshryh/posts/539553032795051

[3] عالية زروقي ،صورة الآخر في الرواية الجزائرية من سنة 1950 إلى سنة 2010م ،بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه ،ص46.

ب ـ الرؤية العدوانية:

«ويقصد بالرؤية العدوانية اعتبار الآخر عدوا للأنا بكل ما يحمله من فكر وثقافة وسياسة لاسيما بعد مرحلة العدوان الاستعماري للغرب وإسرائيل على المناطق العربية، إذ أصبح الآخر العدو المستعمر المستبد، المتعصب، إلى جانب الصورة المعهودة منذ المواجهة بين العالمين المسيحي والإسلامي "[1].

جـ ـ الرؤية الحضارية:

" وتستند هذه الرؤية على وضع الآخر موضع الوسيطة والاعتدال، فهو موقف الحياد من الآخر مع الاستجابة المشروطة له، فلا يتجه أصحاب هذا الرأي إلى الغلو في مدح الغرب والافتتان بمعجزاته الحضارية، ولا إلى سلبيته وعدوانيته فحسب، وإنما يضع العلاقة في إطارها التاريخي، فليس كل الغرب سلبي وليس كله إيجابي، ولهذا لا نلهث وراء معجزاته. فلنأخذها عنه كما هي ولا نعاديه "[2].

لقد " أثيرت هي إشكالية العلاقة بين الأنا والآخر لدى عديد الروائيين العرب، وفي الكثير من النصوص الروائية العربية، ولعل ذلك يعزى بالأساس إلى طبيعة علاقة المجتمعات العربية بالآخر، والحق إن قارئ الرواية العربية يستنتج أن هذه الأخيرة ما كاد بناؤها الفني يستوي "[3]، " حتى شغلتها العلاقة بالآخر الأوروبي الذي ظل لعقود فرنسيا وإنجليزيا، منذ (عصفور) **توفيق حكيم**، و(قنديل) **يحي حقي**، ثم تعدد هذا الآخر وتعددت العلاقة معه، وكان من ذلك الانتقال بها من موطنه إلى مواطن الذات أو النحن، وهكذا ظهر في هذا الشطر من الرواية العربية ـ والذي سمي بالرواية الحضارية ـ الآخر السويسري على يد

[1] المرجع نفسه ،ص47.

[2] عالية زروقي ،صورة الآخر في الرواية الجزائرية من سنة 1950 إلى سنة 2010م ،بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه ،ص47.

[3] محمد فايد ، الأنا والآخر في الرواية الجزائرية ،رواية كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك ، مجلة آفاق علمية ،العدد الحادي عشر،2016، ص130.

عبد الحكيم قاسم و**سليم مطر كامل**، و**جميل عطية إبراهيم**، و**بهاء طاهر**، والصيني على يد **حنا مينة** والإيطالي على يد **عمارة لخوص وصلاح الدين بوجاه** والمجري على يد **محمد أسعد علي**، و**حنا مينة** أيضًا وصولا إلى أمريكا فيما كتب **حليم بركات**... "[1]، بالإضافة إلى عشرات النماذج.

عند تناول الأدب الفلسطيني تجد عددًا من الروايات الفلسطينية لمجموعة من الكتاب الذين يحاولون تجسيد نظرتهم للأنا الفلسطينية وللآخر من خلال أعمالهم الروائية , " فالكاتب **جبرا إبراهيم جبرا** في رواية (البحث عن مسعود) يصوّر الشخص الفلسطيني من خلال بطل الرواية **وليد مسعود** ذا شخصية قوية تتحدى الفقر والقهر وتقاوم وتنتصر على الظلم ولا تتنازل عن حقها.

والفلسطيني هو البطل الذي سيقود الشعوب العربية نحو التحرر(...) أما الآخر، وهو اليهودي، فهو عاشق للمال مرابي إرهابي يفجر المؤسسات ويقتل الأبرياء، وهو محتل ومستوطن... " [2]، ثم نجد نموذجًا آخر من خلال " رواية (الوجوه) للكاتب وليد أبو بكر، حيث بطلها **شريف الزوري**، إنسان قاس مضطرب نفسيا، نرجسي يعذّب الآخرين بسيادية ويتحول إلى عميل للاحتلال الصهيوني بعد حرب عام 1967. بينما تبرز شخصيات أخرى في الرواية (...) يتصفون بالشجاعة والارتباط بالوطن والتضحية من أجله. فالكاتب هنا لا يعمد إلى تمجيد الذات الفلسطينية بقدر ما يحاول أن يوجد توازن بين أبناء المجتمع (...) أما صورة الآخر في الرواية، فقد بدت قوية وصارمة وواثقة من قدرتها على كل شيء في البداية ثم تحولت في النهاية، وبعد بدء المقاومة إلى شخصية الخائن الضعيف"[3].

---

[1] نبيل سليمان ،أسرار التخييل الروائي ،منشورات اتحاد كتاب العرب ،دمشق ،2005 ،ص159، الموقع: http://www.aw4-dam :org

[2] عبد الله دعيس ، الأنا والآخر في الرواية الفلسطينية ،موقع : الأنا والآخر في –الرواية–الفلسطينية /Wbpalestine.com/content

[3] المرجع نفسه .

ونستعرض نموذجًا ثالثا من خلال " رواية (سيرة العقرب الذي يتصبب عرقا) للكاتب أكرم مسلم ، فهنا نرى صورًا مختلفة للذات الفلسطينية، وكأن هناك اضطرابا وتقلبا في نظرة الفلسطيني لنفسه... فنلحظ قدرة البطل الفلسطيني على التفوق وإثبات الذات رغم الصعوبات، مقابل الفلسطيني الذي يتحول إلى خادم لسيِّدة المحتل ويضعف أمام مغرياته ، وفي هذه الرواية يظهر الآخر مريضًا، يحاول بجبروته وسلطته المطلقة أن يجعل الأنا الفلسطينية خاضعة ومسيطرًا عليها"[1].

لا نحتاج بعد الذي سبق تأكيد حضور ثنائية الأنا والآخر في الرواية الفلسطينية، وذلك من خلال المشاهد التي تصور العلاقة بين الأنا والآخر التي تضمنتها النصوص الروائية الفلسطينية ،وأي قارئ متخصص باستطاعته تأكيد ذلك ،حيث ظلّت هذه الثنائية حاضرة في المتن الروائي الفلسطيني، مند الاستعمار الإسرائيلي إلى يومنا هذا.

ومن بين تلك الروايات ، اخترت رواية "**عذبة**" للإشتغال عليها في هذه الورقة البحثية للروائي الأردني ،صبحي فحماوي ، والتي طرح فيها قضية الأنا والآخر ويؤكد فيها على هويته الفلسطينية ويدافع عنها ،عن طريق عودته إلى الذكريات المؤلمة التي تأبى أن تفارق ذاكرته من شدة أثرها ومرارتها عليهم وعلى مجرى حياتهم .

[1] المرجع نفسه .

الفصل الثاني

صراع الأنا والآخر في رواية عذبة

الفصل الثاني : صراع الأنا والآخر في رواية عذبة

نحا الكتاب الفلسطينيون "صوب كتابة الرواية ، كوسيلة أفضل في تناول تجربة الشعب الفلسطيني القاسية والثرية . ورأى الكتاب أن الرواية هي الشكل الأنسب ، لما لها من قدرة عظيمة على التعبير عن المعاناة التي تخلفها المصائب المختلفة ، وعلى التوغل في النفس البشرية والبحث في أحلامها ورغباتها وكوابيسها وتصويرها .

استوعب الكتاب الفلسطينيون أهمية الرواية ، وتأثيرها الكبير على الإنسان ،فتناولوا فيها موضوعات عدة كان أبرزها الصراع مع المحتل الإسرائيلي [1]، وسنرى في رواية عذبة كيف تجسد صراع الأنا الفلسطينية مع الآخر .

أولا : الزمان والمكان في رواية عذبة

1-الزمن:

يمثل الزمن عنصرا أساسيا في كل سرد ، حيث يعد أحد أهم الركائز التي يستند عليها العمل الأدبي " والزمن ليس نفسه في جميع الروايات بل يختلف استعماله من مبدع إلى آخر" [2]، و في رواية عذبة تأتي أحداث هذه الرواية في برنامج يوم واحد يعيشه البطل عماد المنذر، لكن الزمن النفسي عند البطل لا حدود له ، إذ أنه يستعرض حاضره وماضيه ، لذلك نجد الرواية كلها تذكر حيث يخضع عماد المنذر بدوره قص

[1] أمين خالد درواشة ، الأنا الفلسطينية والآخر الإسرائيلي ، موقع :
Https://www.oudnad.net/spipphp?article751

[2] الشريف حبيلة ، بنية الخطاب الروائي ، الأردن ، ط1 ، 2010 ، ص41.

الأحداث للمونولوغ الداخلي ليضع أمام القارئ مصيره وماتعرض له هووالآخرون من بني شعبه .

1-**زمن القص:** زمن القص في رواية عذبة الأحداث التي وقعت في فلسطين أيام الإجتياح الصهيوني لها ،عامي سبعة وأربعين وثمانية وأربعين.

2-**الزمن النفسي:** ويقصد به " الزمن الذاتي الخاص الشخصي الذي يخضع لمعايير خارجية أو لمقاييس موضوعية ، فلجأ الروائيين إلى المونولوج الداخلي ، وتداخل عناصر الزمن والصور والرموز والاستعارة لتصوير الذات في تفاعلها مع الزمن ، وهذا البعد الزمني مرتبط في الحقيقة بالشخصية لا بالزمن "[1]

وكما قلت من قبل أن عماد المنذر بدوره يخضع قص الأحداث للمونولوج الداخلي ، ومن أمثلة المونولوج في الرواية :

" وأمام المرآة، سأل نفسه : هل ستقبل بي عذبة على هذا الشكل العجوز المتصابي؟ صحيح إنها لا تزال طفلة في مخيلتي، ولكنها بالتأكيد كبرت كما كبرت أنا، بعد طول هذه السنين العجاف..... ! [2] .

" راح يحدث نفسه من جديد : يبدو أن الطريق طويلة ياعذبة، والحافلة تقطع المسافات البعيدة، للوصول إليك يا ملاذي الأخير ! لا أزال أذكر تلك البقاع، وكأنني بالأمس ! وكثيرا ما حدثني والدي منذر منذ بدايات الاحتلال الصهيوني لفلسطين ..." [3]

التذكر: يعيد عماد المنذر شريط ذكرياته طوال الرواية ، ومن أمثلة التذكر نجملها فيما يلي : " فمنذ أن صعد الحافلة، أخذ عماد يعيد شريط ذكريات طفولته، وكأنه

---

[1] سيزا قاسم ، بناء الرواية ، مهرجان القراءة للجميع ، 2004 ، ص 65،67.

[2] صبحي فحماوي ، رواية عذبة ، دار الفرابي ، لبنان ، ط1 ، 2005، ص11.

[3] المصدر نفسه ، ص36.

يعيش اليوم عامي سبعة وأربعين وثمانية وأربعين، وعلى شفا الإجتياح الصهيوني لفلسطين ..."[1] .

" أتذكرين يوم تزوج جدك أبو محمد زوجته الثانية ..."[2] .

" ما زلت أذكر أيام كنا نلعب أنا وياك لعبة الحبل ..."[3] .

إن عماد منذر يتذكر أيام طفولته وشبابه التي قضاها في بلده فلسطين، ويسترجع كل الوقائع و الأحداث التي وقعت في ذلك الوقت ولقد اعتمد في هذا التذكر على آليات مثل : " أتذكرين، مازلت أذكر ...".

-المكان:

كما سبق وذكرنا، أن للزمان أهمية كبيرة ، فإن بالإضافة له، يوجد عنصر آخر له أهمية كذلك ألا وهو المكان. إذ يعد المكان أساسيا في العمل الروائي، لأنه يشكل مسرحا للأحداث، وتتحرك من خلاله الشخصيات، ونعرض المكان في الرواية كما يلي :

" كان الطريق شبه المعبد بحفريات ورمال وصفائح يضيق، تتوسطه قناة مياه مجار زرقاء مسودة اللون، وقطط تتحرك فوق كومة من النفايات المتناثرة فوق فراغ ينبعج من الطريق، وكانت الطوابق العليا من المباني على واجهتي الطريق، تقترب من بعضها فوق رأسه (...) حيث قررت بلدية أنصار 20 تجميع نفاياتها، حرقها على مشارف معسكرهم الذي يقبع شرق المدينة ..."[4].

[1] المصدر نفسه ، ص14.

[2] صبحي فحماوي ، رواية عذبة ، ص17.

[3] المصدر نفسه ، ص21.

[4] المصدر نفسه ، ص12 .

ثانيا : الأنا الفلسطينية والآخر العربي

يصور في رواية عذبة على لسان شخصية عماد المنذر، صراع الشعب الفلسطيني مع الأنظمة العربية ونضاله ضد الاحتلال، خاصة بعد نكسة 1967 وعقم النظام العربي الرسمي الذي اجتهد في التخلي عن دوره الوطني اتجاه القضية الفلسطينية ، يحكي عماد المنذر ما تعرض له هو وشعبه ، من حروب وصراعات من طرف الاحتلال الصهيوني الذي حاول القضاء على الهوية الفلسطينية عن طريق اغتصاب أرضهم وإخراجهم بالغصب من قريتهم " أم الزينات " التي حولت منازلها إلى أنقاض ، ومدينتهم حيفا ، التي تم محوها من الخارطة بممحاة بلاستيكية ، يقول في الرواية :

" هربت إلى المدينة الكبيرة حيفا لأختبئ بين شعابها ، فوجدت أنه قد تم محوها عن الخارطة بممحاة بلاستيكية ، كان هناك شخص عجوز طويل الشعر كث اللحية معقوف

الأنف ، يلبس عدة عباءات و أثياب وجاهة بالية ، يثبت بيده اليسرى عدسة مكبرة ، ينظر بها إلى الخارطة، وباليمنى يمسك بممحاة ، يمحوا بها عمارات وحواري وأزقة وأناس المدينة ...لم تكن حيفا هناك .. وبصراحة خفت كثيرا إذ أين سأذهب في هذا الليل الدامس ، أفقت من الكابوس ، لا شك إنها مزحة سمجة ، إذ كيف تتخيلون معي أن مدينة حيفا بكل سكانها ، وتجارها ورجالها المخيفين ونسائها الجميلات وأطفالها اللعوبين ، كلهم يختفون بممحاة في ليلة ليس فيها ضوء قمر ! أكيد إنها مزحة سمجة ، حمدت الله كثيرا..."[1].

بعد احتلال إسرائيل لفلسطين وتشريد أهلها ، أوجد الشتات الفلسطيني مع الآلام والمعاناة بعدا آخر للهوية الوطنية ، هوية اللاجئ الفلسطيني التي تقطعت به السبل وفقد أملاكه ومصدر رزقه وأرضه التي اقتلع منها. بالإضافة إلى خيبة الأمل الكبيرة بعد تخلي العرب

[1] صبحي فحماوي ، رواية عذبة ،ص13-14.

عنهم يقول: " أعرف أنه لم يبق رجل مقاوم في هذه القرية ، بعد أن قتلتم من قتل ، وخرج من نفد بجلده ، وأعرف أنني سأموت الآن ببنادقكم الجبانة ، لكنني أفضل الموت على أعتاب بيتي ، على مغادرة أرضي ووطني ! ما باليد حيلة ! أنا ابن الثمانين ، لم يبق لي من العمر أعيشه لاجئا ، خارج مملكتي أم الزينات.أريد أن أعيش باقي عمري ، أو أموت هنا ! ما باليد حيلة ، فالموت هنا ، أرحم من الذل و الهوان ، في حياة اللاجئين خارج الوطن !" [1].

هكذا تسلسل الإحباط إلى نفوس الشعب الفلسطيني بعد أن خيب النظام العربي تطلعاته و طموحاته و خيب آماله في تحقيق عودته إلى أرضه . حيث أن من هنا الفلسطينين يهربون من الاحتلال إلى بلاد العرب " وهكذا كان الرجال يموتون طخا ! ومن ينفذ بجلده ، يهرب باتجاه العرب في الشمال والشرق والجنوب ..." [2] .

" إذهبن من هنا سيرا على الأقدام إلى بلاد العرب ، بسرعة وقبل أن يتسع نطاق القتل فيشملكن ، أنا خائفة عليكن ، وعلى أطفالكن ! بلاد العرب واسعة تتسع لكن جميعا اتركوا لنا هذه الفلسطين ، القطعة الصغيرة من بلاد العرب ، وأنتم امرحوا وطاردوا بكل بلادكم العربية الواسعة ..... ! "[3].

" ارحلوا عن الأرض المحتلة ، واخلوا لنا المكان ، لنتمكن من ضرب المحتلين الصهاينة ، والقضاء عليهم قضاءا مبرما ! ..... فأخلينا المكان ، والتجأنا إلى بلاد العرب فكانت النتيجة موت الفلسطينين الراحلين في الصحاري "[4]

[1] صبحي فحماوي ، رواية عذبة ،ص41.
[2] المصدر نفسه ، ص40.
[3] المصدر نفسه ، ص58.
[4] المصدر نفسه ، ص60-61.

هكذا كان الفلسطينيون يخرجون من بلادهم بالقوة ، مستنجدين ببلاد العرب أملا في إيجاد العون والمناصرة من قبلهم لكنهم انصدموا بالواقع وبحياتهم الجديدة التي كانت تنتظرهم.

" لم يكن في معسكر أنصار7 أية فرصة عمل. أخذ بعض الشباب يفكرون بالعودة إلى ديارهم ، ولكن أصبح هناك حدود بين الأراضي العربية ، والأراضي الفلسطينية المحتلة . وأصبح الدخول إلى فلسطين ممنوعا باتفاق ، سموه اتفاق الهدنة ، بين العرب و إسرائيل فأصبح العرب ممثلين بجيش الإنقاد العظيم ، يحمون حدود الأراضي غير المحتلة من جهتهم ، واليهود يحمون حدودهم احتلالهم من جهتهم المهم إنه أصبح هناك حدود ! والواصل إلى تلك الحدود ، كالواقع بين المطرقة و السندان ! هل جربت مرة واحدة يا عذبة ، أن تضعي أصابعك بين المطرقة والسندان؟ لا تقولي لي إنك لا تطيقين ذلك الألم لأني سأقول لك فورا: فكيف إذا تم تثبيت شعب بأسره ، بين المطرقة والسندان؟ ..... كان هذا هو حالنا في معسكر أنصار 7 "[1]. يعيش اللاجئين الفلسطيين داخل المخيمات المنتشرة في أراضي البلدان العربية أوضاعا أقل ما يقال عنها أنها لا تراعي الظروف الإنسانية ولا تتماشى مع القوانين الدولية التي تضمن حقوق اللاجئين حيث يعيشون في خيم بالية لم تتمكن أن ترد عنهم برد الشتاء ولا حر الصيف ، معتمدين على المواد الغذائية القليلة بالإضافة إلى غياب الرعاية الصحية و الاجتماعية و انتشار الأمراض و الفقر والمجاعة ... لقد عوملوا بقسوة لا مثيل لها . هذا وإذا أراد أي فرد منهم بأن يعبر الحدود إما أن يموت على الحدود أو يقع في قبضة شرطة الحدود العربية و يضعوه في السجن لينال أبشع أنواع العذاب . " ما رأيك أن نعود إلى البلاد؟ وكيف نعود؟ ألم تعلم أن هناك حدودا ، ومن يحاول قطعها ، قطعوه ! أعلم ، ولكن الموت على الحدود ، لا يختلف كثيرا عن الحياة في هذا المعسكر ! "[2]

[1] صبحي فحماوي ، رواية عذبة ، ص83.

[2] المصدرنفسه ، ص84.

وتبدأ شخصية الآخر العربي الصارمة بالظهور متمثلة في أفراد الشرطة العروبية وتبرز في صراع الشرطة مع شخصية عثمان الحليم هذا الفلسطيني الذي لم يتحمل قسوة العيش في مخيمات اللاجئين وقرر العودة إلى أرضه فلسطين ونجح في المرة الأولى لكن في المرة الثانية وقع في شباك الشرطة العروبية " غادر عثمان سالكا نفس الطريق ، الذي سلكه في المرة الأولى ، ولكنه لم يوفق هذه المرة ! فلقد كانت الشرطة العروبية تراقب الناس في المعسكر ، وتتابع أخبارهم (...) ويبدوا أنهم قد أبلغو حرس الحدود ، فالتقطوه عند الحدود العربية، وبدأوا التحقيق معه ، بأن ضربوه بأعقاب بنادقهم ضربات مبرحة ، وهشموا وجهه ببساطيرهم ، ورموه داخل زنزانة مساحتها متر واحد مربع ، ثم نقلوه إلى سجن مدينة أنصار9 للتعذيب فقط ، ثم حولوه إلى سجن اللعنة الثالث عشر بهدف التحقيق مرة أخرى ، ثم أعادوه إلى سجن أنصار9 ، فتابعوا تعذيبه ، بالضرب على رأسه بعقب البندقية ، حتى تكسرت عظام جمجمته ، وأصبح مخه داخل جمجمته بلا حماية ، ضربوه بالبساطير على ظهره وبين فخديه ، وعلى أعضائه التناسلية "[1].

وتظهر شخصية الآخر العربي في حادثة أخرى ، وهي شخصية المحقق العروبستاني الذي حقق مع الطفل سامي الشوباني الذي قام بالقفز فوق الأسلاك الشائكة الموجودة في الحدود وذلك من أجل لقاء خالته التي اشتاق إليها و التقى بها لتقابله بالأحضان لكن لم تدم تلك الحال لأنه قد تم الإمساك به من طرف المجندون الإسرائيليون وقاموا بتسليمه إلى مركز الأمن العربي و هناك حقق معه ووجه له الشتائم واتهمه بالجاسوس و الخائن ووضعه المحقق العروبستاني في سجن اللعنة الثالث ، وبعد مدة تم الإفراج عنه . "... وصل أبوسامي بالرسالة إلى مدير الأمن، الذي حولها إلى الحاكم الإداري ، الذي أمر بالإفراج عن الطفل ، فأخذه أبوه في حالة تصعب على الإسرائيليين أنفسهم ! وشاهده أهل

[1] صبحي فحماوي ، رواية عذبة ، ص86.

قرية أنصار 17 على حالته المدمرة ، فتعاطفوا معه ، ولكنهم اتعظوا مما شاهدوه ! فلم يعد أحد بعد ذلك التاريخ ، للاقتراب من الأسلاك الشائكة " [1] .

" لاحظي يا عذبة ، إن السجون في الولايات العربية منظمة، ومتخصصة ، ومتطورة وحضارية ، حيث إن هذا السجن متخصص بالتعذيب فقط ، و شد الأظافر يقول المثل " إن الإظفر لا يطلع من اللحم ، ولكن في تلك السجون ، أثبتوا أنه يسحب ، ويطلع من اللحم ،كما تسحب الشعرة من العجين في تلك السجون ، انتفى مفهوم الأمثال الشعبية ويبدوا أنه منذ أقيمت المعسكرات لاستيعاب اللاجئين ، أقيمت معها في نفس الوقت سجون عربية تحت الأرض و فوقها ، سجون بمختلف التخصصات "[2].

هكذا كانت معاناة الفلسطينيون في السجون العربية ، اذ عاشوا الويلات والمعاناة وتلقوا أبشع أنواع التعذيب على يد إخوانهم في الملة والدين اللسان.

إن الراوي في هذه الرواية و بسرده لكل تلك الوقائع التي جرت يبين لنا خيبته الكبيرة في العرب الذين تركوهم في مخيمات اللاجئين ، في حياة لا توجد أقسى منها ، ويكشف لنا سياسة إسرائيل الجهنمية ، المتمثلة في قصف فلسطين وذلك من أجل إخافة الشعب الفلسطيني وإرغامه على الخروج من أرضهم واللجوء إلى بلاد العرب وبعد إطالة مدة لجوئهم وتشتتهم سيجبرهم على الانسجام والذوبان في حياتهم الجديدة في الدول التي استقروا فيها ، وهكذا شيئا فشيئا تذوب الهوية الفلسطينية ويتحقق المخطط الإسرائيلي الحقير ، ولكن إسرائيل نسيت من يكون شعب فلسطين لأنه لم ولن ينسى هويته الفلسطينية ، فرغم موت الكبار إلا أن الصغار لم ينسوا كما لم ينسى عماد المنذر في هذه الرواية وذلك لأن حب فلسطين يمشي في عروقه الذي أخذه عن أهله وحكايات والده ووالدته حين يصف لهم جمال فلسطين .

[1] صبحي فحماوي ، رواية عذبة ،ص101.

[2] المصدر نفسه ، ص87.

ثالثا : صراع الأنا الفلسطينية والآخر الإسرائيلي

تجسد رواية عذبة الصراع مع المحتل الإسرائيلي وما رافقه من مذابح وتشرد وسجن وبطولات الشعب في مواجهة غطرسة الاحتلال وبطشه الذي لا يرحم.

يروي البطل مأساته مع الآخر الإسرائيلي، مبينا بذلك على صراع الأنا الفلسطينية مع الآخر المستدمر لبلاد فلسطين .

ابتدأت صورة الآخر في الرواية قوية وصارمة وواثقة وقادرة على كل شيء . ممثلة في العدو الإسرائيلي الذي دخل فلسطين وقام بجرف شعبا كاملا من وطنه . " ...هل معقول أن يجرفوا شعبا كاملا من وطنه ، هو وبيوته وأشجار زيتونه وبلوط غاباته ، ثم يستوردوا أشخاصا آخرين من دول مختلفة ، ليحلوا محلهم ، فيكونوا دولة جديدة بمستعمراتها ، وبمجوهرات يهودها وبرتقالها وصنوبرها ، وكأن شيئا لم يكن ! "[1].

ونجد الصراع بارزا في الرواية بين الآخر الإسرائيلي والأنا الفلسطينية ، حيث نجد أن صبحي فحماوي قام بصب أناه الذاتية والجماعية في شخصياته ، ثم وازاها بشخصية الآخر يقول في الرواية : " والمجندون قادمون بمدافعهم ، كل منهم يحمل على كتفه مدفعا تنوء عن حمله دبابة مجنزة ، والأشجار تتهاوى في أتون البركان ، فيتحول لونها الأخضر إلى اللون الأحمر ، ودخان الطوابين وغثاء المواشي ودعاء الأطفال وبكاء العجائز ومقاومة الشباب بعصي من بوص وعيدان ذرة ، وأظافر النساء الحمراء تغوص في لحوم المجندين المهاجمين فتنزف دماؤهم "[2].

[1] صبحي فحماوي ، رواية عذبة ،ص14.

[2] المصدر نفسه ، ص15.

ويقول أيضا " غير المسجد الذي حوله المحتلون إلى بار وملهى ، للسكر والعربدة يطبلون و يرقصون داخله ، وفي ساحاته الخارجية كل ليلة ، ويسكرون ويسهرون بين أرواح الفلسطينيين ، الذين استشهدوا دفاعا عن احتلال قريتهم "[1].

وتتجلى صور الأخر الإسرائيلي في صورة القائد العسكري منحيم بيغن لعصابة الأرغون تسفاي لئومي ، وعصابتي شتيرن، والهاجانا ، الذين أحدثوا مجزرة مروعة التي لم يستطع التاريخ أن يمحيها من الذاكرة ، وهي مجزرة دير ياسين ، يقول في الرواية : " وفي سكون الفجر ، وقبل تبدد الظلام ، هجموا على قرية (دير ياسين) ، جيش منظم وعصابات مدربة ، بقيادة منحيم بيغن لعصابة الإرغون، تسفاي لئومي، وعصابتي شتيرن، والهاجانا ، فحاصروها من جميع الجهات، قرية مسالمة نائمة (...) فقتلوا رجالها وأطفالها الغافلين المسالمين ، وجمعوا النساء في وسط البلد ، وعروا الصبايا من ملابسهن ، كما خلقتني يا ربي ! وعند جدار في دير ياسين ، جمعوا الحوامل منهن ، وأمروهن تحت تهديد البنادق بالتعري التام ! وكانوا يتباحثون ، ويتغزلون بهن بهدوء "[2] ، وبعدها أمرهم القائد " إبقروا بطونهن ، كي لا يلدن أولادا أو بناتا، يعلمن أولادهن الإنتقام لمجزرة دير ياسين وغيرها ، حاضر سيدي !هكذا كانت الأوامر ! .... تقدم أحدهم ، فبقر بطن واحدة منهن بسونكي بندقيته ، وهم يتراهنون على جنيتها بدم بارد ! (...) وكان الرعب من قبل المعتقلات ، والفزع والصراخ ، والذهول ، والمقاومة بالأظافر ، والمهاجمة بالأيدي "[3].

[1] صبحي فحماوي ، رواية عذبة ، ص23-24.

[2] المصدر نفسه ، ص35-36.

[3] المصدر نفسه ،ص37.

وتؤكد " الموسوعة الفلسطينية أن المجرم بيغن في حديثه عن المدبحة اعترف أن العرب الفلسطينيين دافعوا عن بيوتهم ونسائهم وأطفالهم بقوة " [1]، وهنا يبرز صراع الأنا الفلسطينية المتمثلة في الفلسطينين الذين حاربوا ودافعوا عن أرواحهم و أبنائهم مع الآخر الإسرائيلي المتمثل في العسكري بيغن و جنوده .

ويستمر الصراع بين الأنا الفلسطينية و الآخر الإسرائيلي في معركة أخرى حيث في هذه المعركة يتمثل الآخر في شخصية مجندوا غولاني ، الذين اقتحموا بيت الحاج عبد القادر كبير البلد فوجدوه كهلا كبيرا ابن الثمانين الذي اختار أن يموت في بيته وأرضه ووطنه على أن يغادرها " وتحت محاصرة ضباط وجنود الكتيبة الرابعة ، من لواء غولاني ، قال لهم أبو الشوارب ، وهو مأمور أن يحمل فأسا ، ليهدم به بيته : يعلن أبو هيك حياة ! وهل نستطيع العيش بعد أن نهدم بيوتنا بأيدينا ! وصرخ وهو أعزل فوق بيته ، قائلا لأفراد العصابة ، الواقفين أمامه ، ببنادقهم الرشاشة : لن نستطيع الإستمرار في هكذا حياة ! طخوني ! وفورا ، وبدون تشاور مع أحد ، طخه أحد المجندين !فسقط شهيدا من فوق سطح بيته "[2].

و في حادثة أخرى نجد شخصية الأنا ممثلة في المجاهد عبد الرحمن الحسن البطل الذي دافع عن وطنه ولم يرضى بالاستسلام أو الخروج من وطنه بل اختار المقاومة حتى آخر نفس ، وبعد العديد من المقاومات تم الإمساك به من قبل حاكم منطقة حيفا العسكري البريجادير كوهين بنفسه " وهناك سأله كوهين : هل أنت عبد الرحمن الحسن ؟ فقال الجاهد : نعم فقال الحاكم بصوت منخفض هادئ ، مؤشرا بعصاته : إننا نحترم المجاهدين ، ونقدرهم حق قدرهم ، ولهذا جئت شخصيا للتعرف عليك ! .... لم يجب عبد

[1] الموقع الإلكتروني :
مجزرة–دير –ياسين//www.aljazeera.net
[2] صبحي فحماوي ، رواية عذبة ،ص40.

الرحمن ..فتابع كوهين حديثه بهدوء وببساطة ، آمرا جنوده : إعدام ..... فأجلسوه تحت شجرة البلوط الضخمة شرق البيادر ، وأمام البلد المحاصرين بالبنادق ، ربطوه بجذعها بحبل غليظ ، قيدوا به عنقه وصدره وبطنه ،وشدوا وثاقة للشجرة ، ثم ابتعدوا عنه ، وكان بعضهم يهاجم بيديه ، ليبعد جماعة كوهين عن المجاهد عبد الرحمن ، ولكن بلا فائدة "[1].

وفي ختام هذا المبحث ينتهي البحث إلى كون رواية عذبة من الروايات التي أجلت دموية الصراع بين الذات الفلسطنية والآخر الإسرائيلي، إضاءة البؤر السوداء التي تعذر على الاعلام والتاريخ نقلها الى الآخر في بقاع العالم.

انمازت هذه الرواية بدقة التصوير لفضائح المستدمر الصهيوني، الراغب في تهويد الأرض العربية فلسطين، عبر تشريد شعبها والفتك به قتلا أو تعذيبا.

ومما لا يفوت البحث الإدلاء به هو أن هذه الرواية جسدت من مقابل الآخر الإسرائيلي، الآخر العربي الذي ساهم في رسم مشهدية الصراع الدموي بالتعاضد مع الآخر الصهيوني، وذلك إما بغلق الحدود، أو خنق اللاجئين، أو التطبيع مع إسرائيل، أو تناسي القضية وجعها قضية داخلية لفلسطين.

[1] صبحي فحماوي ، رواية عذبة ، ص46.

خاتمة

خاتمة:

يلخص البحث عبر خطواته المحددة سلفًا، إلى مجموعة من النتائج الملخصة والدقيقة، حول أهم ما ورد عبر الفصلين المدرجين ضمنه.

من نتائج الفصل الأول : الأنا والآخر في الرواية العربية ما يلي:

- "الأنا" أو "الذات" هو المنفرد المستقل بذاته عن الغير، حتى ولو كانت تربطنا معه علاقة.
- لا "أنا" دون "الآخر"، ومنه فمفهوم الآخر يبدأ بالتشكيل تدريجيا لدى الإنسان منذ أن يبدأ الإنسان بالتعرف على ذاته وأنه لا يمكننا التعرف والحكم على طرف دون ملازمة الطرف الآخر.
- العلاقة بين "الأنا" و"الآخر" تقتضي الحذر في التعامل معها لأن مسلكها شائكا نوعا ما لكونها تلازمية في الوجود، جدلية في المفهوم والبناء.
- الهوية بما تمنحه للفرد أو الذات من خصوصية، وتميزها بمثابة جواز سفر إلى الآخرين ذلك أن تتحقق كوجود ضمن الأنا الجمعي، وما يسلكها نحو التخريب والانغلاق التام على الآخر هي نظرة "الأنا" الضيقة في فهم الآخر، لذا عليها الانفتاح على العالم الخارجي لأنه عامل أساسي في تشكيل الهوية لكن بتحفظ، فالذوبان الكلي فيه يفقد "الأنا" هويتها وتصبح موضع التابع لا أكثر، ومنه لا إفراط ولا تفريط.
- وما جاء في هذا البحث يثبت أن أي قارئ متخصص باستطاعته تأكيد حضور ثنائية الأنا والآخر في الرواية الفلسطينية حيث ظلت حاضرة في المتن الروائي الفلسطيني منذ الاستعمار الاسرائيلي إلى يومنا هذا.

ومن نتائج الفصل الثاني:صراع الأنا والآخر في رواية "عذبة"

- تعد رواية عذبة للمبدع الأردني صبحي فحماوي من أهمم الروايات التي تجسد الصراع بين فلسطين وإسرائيل والعرب ، وذلك من خلال الحوار الداخلي الذي دار بين شخصيتين رئيستين، الأولى شخصية عماد المنذر، وهي شخصية معبرة حسب الرواية عن الذات الفلسطينية وما تعاني منه من اضطهاد واستبداد، في حين نجد الشخصية الثانية عذبة وهي صديقة طفولة عماد المنذر التي ترافق خياله طوال طريق عودته إلى فلسطين.
- تكشف الرواية الصراع بين الذات الفلسطنية والآخر الإسرائيلي، حيث إضاءة البؤر السوداء التي تعذر على الإعلام والتاريخ نقلها إلى الآخر في بقاع العالم.
- صورت الرواية فضائح المستدمر الصهيوني، الراغب في تهويد الأرض العربية فلسطين، عبر تشريد شعبها والفتك به قتلا أو تعذيبا.

تؤرّخ "عذبة" لأحداث وطنية ونضالية جرت في مدن فلسطين وقراها وحاراتها ومزارعها. وتكشف بلغة تخلو من المباشرة والشعارات البراقة، أبعاد ما كان يعاني منه الشعب الفلسطيني. وتجسّد واقعا مؤلما من خلال علاقات وسلوكات تبرز الوجه الوحشي للصهاينة الذين احتلوا الأرض، ومارسوا القهر والإذلال والاستبداد بحق أصحابها من الفلسطينيين.."

الملحق

الملحق

صبحي فحماوي: سيرة ذاتية

" بعد ثلاثة وعشرين كتابا له وحول أعماله، بين الرواية والقصة والأقصوصة والمسرحية والنقد، حاز على جائزة الطيّب صالح عام 2014 لمسرحية بعنوان "حاتم الطائي المومياء".

- عضو رابطة الكتاب الأردنيين، وعضو اتحاد كتاب مصر، وعضو نادي القصة المصري وعضو المنتدى العربي، وعضو اللجنة التحضيرية للمؤتمر الثقافي السنوي في جامعة جرش، ورئيس سابق للجنة الثقافة والفنون في منتدى الرواد الكبار.
- مؤسس ورئيس تحرير" أخبار الرواية"، وموقع صبحي فحماوي على الفيس بوك.
- كاتب مقال أسبوعي في جريدة الأهرام المصرية. وفي صحيفة روزاليوسف المصرية، وفي "ميديل ايست أون لاين" اللندنية.
- كان يعد ويقدّم برنامج تلفازي ثقافي في أسبوعي بعنوان "قناديل " على قناة برايم التلفزيونية، لمدة سنة ونصف.
- مهندس حدائق، عضو الجمعية الأمريكية لمهندسي الحدائق.

زرع أكثر من مليون شجرة في الأردن، إضافة إلى ملايين الشجيرات والحوليات "[1]

[1] صبحي فحماوي، سيرة ذاتية، 12افريل2018، ص01.

له حتى الآن عشر روايات:

- " عذبة دار الفارابي – بيروت، 2005 (الطبعة الثالثة)– كتاب الجيب– مجلة الموقف الأدبي.
- رواية (الحب في زمن العولمة) روايات الهلال– القاهرة– طبعة أولى 2006، والطبعة الثانية صدرت عن دار الفارابي بيروت 2008(ترجمت إلى اللغة الاسبانية).
- رواية (حرمتان ومحرم) روايات الهلال – القاهرة– 2007 الطبعة الثانية ، دار الفارابي 2010، وقد كتب عدد كبير من النقاد العرب وروتيزر للأنباء.
- رواية (قصة عشق كنعانية) دار الفارابي – بيروت– 2009.
- رواية (الإسكندرية 2050) دار الفارابي – بيروت 2009، الطبعة الثانية – روايات الهلال– القاهرة 2013.
- رواية (الأرملة السوداء) روايات الهلال– 5– 2010.
- رواية (على باب الهوى)– دار الفارابي– بيروت– كانون الثاني– 2014– صدرت طبعة ثانية لهذه الرواية عن الهيئة المصرية العامة للكتاب. كانون الأول 2014.
- رواية (سراويل بلقيس) مكتبة كل شيء الحيفاوية– شباط– فبراير– 2014.
- رواية (صديقتي اليهودية) المؤسسات العربية للدراسات والنشر –2015 "
- رواية (قاع البلد) مكتبة كل شئ الحيفاوية –2017 "[1].

[1] صبحي فحماوي، سيرة ذاتية، 12افريل2018، ص01.

له ثماني مجموعات قصصية:

- " (موسم الحصاد) – دار الكر مل– عمان، 1987.
- (رجل غير قابل للتعقيد) المكتبة الوطنية – عمان، 1997.
- (صبايا في العشرينيات) طبعة ثانية مكتبة مدبولي– القاهرة، 2006.
- (الرجل المومياء) دار الفارابي – بيروت، 2006.
- (فلفل حار) دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، 2012.
- مجموعات أقصوصات بعنوان (مواقف)صادرة 2016، عمان، (الآن الناشرون).
- مجموعات أقصوصات بعنوان (كل شيء للبيع) 2016، عمان، (الآن الناشرون).
- مجموعات أقصوصات بعنوان (قهقهات باكية) 2017، عمان، (الآن الناشرون)"[1].

له سبعة مسرحيات ومشاهد مسرحية:

"صدرت عام 2014 في مجلد بعنوان "الأعمال المسرحية " وهي:

- في انتظار النور الأخضر؟.
- ليلة الافتتاح؟.
- الجوع؟.
- شخصيات مستنسخة؟ .
- نفقات منزلية؟ .
- مش عيشة هذه؟ .
- حاتم الطائي؟.

[1] صبحي فحماوي، صديقتي اليهودية، ص02.

عمل صبحي فحماوي:

- مدير تحرير مجلة سامر للأطفال.
- مدير عام المركز الدولي للتنمية الزراعية.
- رئيس تحرير مجلة (الزراعة في الأردن) وزارة الزراعة.
- رئيس تحرير مجلة (المهندس الزراعي).
- عضو إداري في نقابة المهندسين المزارعين.

رئيس تحرير مجلة (المزرعة والحديقة)[1].

ملخص الرواية

رواية عذبة للروائي " صبحي فحماوي " ، تتحدث عن الجو الفلسطيني المشبع برائحة الأرض ،عن الذكريات المؤلمة التي تأبى أن تفارق ذاكرة اللاجئين ، بطل الرواية هو عماد المنذر وهوعجوز متصابي لم يتزوج بعد ، يسكن معسكر أنصار20 في ولاية عروبستان ، يقرر السفر من المعسكر إلى مدينته حيفا ومن ثم إلى قرية الفريديس في جبال الكرمل ، وفي الطريق يعيش حالة من الهلوسة إلى لقاء محبوبته "عذبة" التي تشده بشوق للعودة إلى رفيقة طفولته وكأنه يعيش عامي سبعة وأربعين وتسعمائة وألف ، وثمانية وأربعين . تبدأ أحداث الرواية بعماذ المنذر في منزله يستعد للسفر ، ثم يخرج ليركب الحافلة وهناك يبدأ باسترجاع ذكريات طفولته في قريته أم الزينات التي حولت منازلها إلى أنقاض يتبعثر ركامها ، وهو لا يصدق أن ماحصل قد حصل كان كابوسا ثقيلا عليه ، يتابع عماذ المنذر حديثه في نفسه مع عذبة طوال الطريق ، يحكي ما جرى في فلسطين أيام الإجتياح الإسرائيلي ، وكيف هجروا من إسرائيل ، وعيشهم في مخيمات

[1] المصدر السابق، ص 04-05.

اللاجئين في بلاد العرب ، بقي يسرد ذكرياته حتى وصوله إلى قريته ويجدها تنتظره وتلوح بيدها له .

قائمة
المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم برواية ورش

ثانيا: المصادر والمراجع

1-ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2000.

2-أدونيس ، الثابت والمتحول ، بحث في الإبداع والإتباع عند العرب ، دار الساقي ، ط7 ، بيروت ،2008 ،ج1.

3-الشريف حبيلة ، بنية الخطاب الروائي ، الأردن ، ط1 ، 2010 .

4-الحاج ذواق: الدين والهوية بين ضيق الانتماء وسعة الإبداع ، د ط ، الرباط ، 2016.

5-بول ريكور ، الذات عينها كآخر ، ترجمة وتقديم : جورج زيناتي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2005.

6-سعد البازغي ، الإختلاف وثقافة الإختلاف ، المركز الثقافي العربي ، ط1 ، بيروت ، 2008.

7-سيزا قاسم ، بناء الرواية ، مهرجان القراءة للجميع ، 2004.

8-شوقي ضيف ، المعجم الوسيط ، مكتبة الشروق الدولية ، ط4 ، مصر، 2004.

9-صفاء عبد الفتاح محمد المهداوي ، الأنا في شعر محمود درويش ، وزارة الثقافة، الأردن ،2013.

10_صبحي فحماوي ، رواية عذبة ، دار الفارابي ، ط1 ، بيروت ، لبنان ، 2005.

11-عبد العزيز عثمان التوجري ، التراث والهوية ، المنظمة الإسلامية التربية والعلوم والثقافة ، ايسيكو ، الرباط .

12-ماجدة حمود ، إشكالية الأنا والآخر ، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 2013.

13- ميجان الرولي وسعد البازغي ، دليل الناقد الأدبي (إضاءة لأكثر من تسعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا) ، المركز الثقافي ، ط5 ، بيروت ، لبنان ،2007.

ثانيا: المعاجم

1-جميل صليبا: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية ، ج2 ، دار الكتاب العالمي للنشر، بيروت- لبنان ، 1994.

2- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادي: القاموس المحيط، تح: انس محمد الشامي وزكريا جابر احمد ، دار الحديث، القاهرة ، 2008.

3-نوربير سيلامي ، المعجم الموسوعي في علم النفس ، ترجمة وجيه أسعد ، وزارة الثقافة ، دمشق ، 2001.

ثالثا: الرسائل العلمية

1-عالية زروقي ، صورة الآخر في الرواية الجزائرية من سنة 1950 إلى سنة 2010م ، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه .

2-مولاي أحمد بن نكاح ، ملامح الهوية في السينما الجزائرية ، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه .

رابعا: المجلات والدوريات

1-محمد فايد ، الأنا والآخر في الرواية الجزائرية ، مجلة آفاق علمية ، العدد الحادي عشر ، 2016.

خامسا: المواقع الإلكترونية

1- http://arar.facebook.com/tnmytbshryh/posts/539553032795051

2_ نبيل سليمان ، أسرار-التخييل الروائي-http://www.aw4-dam-arg

3-الأنا والآخر في-الرواية-الفلسطينية/wbpalestine.com/contet

فهرس

الموضوعات

الفـــــهرس

الموضوع **الصفحة**

إهداء

شكر وعرفان

مقدمة ..... **أ.ب.ج**

الفصل الأول:الأنا والآخر في الرواية العربية..... 05

1ـ جدل الأنا والآخر في الوعي الإنساني..... 05

أولا: مفهوم الأنا 05

أـ لغة 05

ب. اصطلاحا.....05

ثانيا: مفهوم الآخر.....08

أـ لغة.....08

ب ـ اصطلاحا 09

ثالثا: العلاقة بين الأنا والآخر.....11

2ـ الأنا والآخر وإشكال الهوية 14

أولا: في مفهوم الهوية 14

ثانيا: الهوية وإشكال الأنا والآخر 19

3ـ الأنا والآخر في الرواية الفلسطينية.....22

الفصل الثاني : صراع الأنا والآخر في رواية عذبة 28

أولا : الزمان والمكان في رواية عذبة 28

1-الزمن.....28

2-المكان.....30

ثانيا : الأنا الفلسطينية والآخر العربي.....31

ثالثا : صراع الأنا الفلسطينية والآخر الإسرائيلي.....36

خاتمة 41

الملحق

قائمة المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات